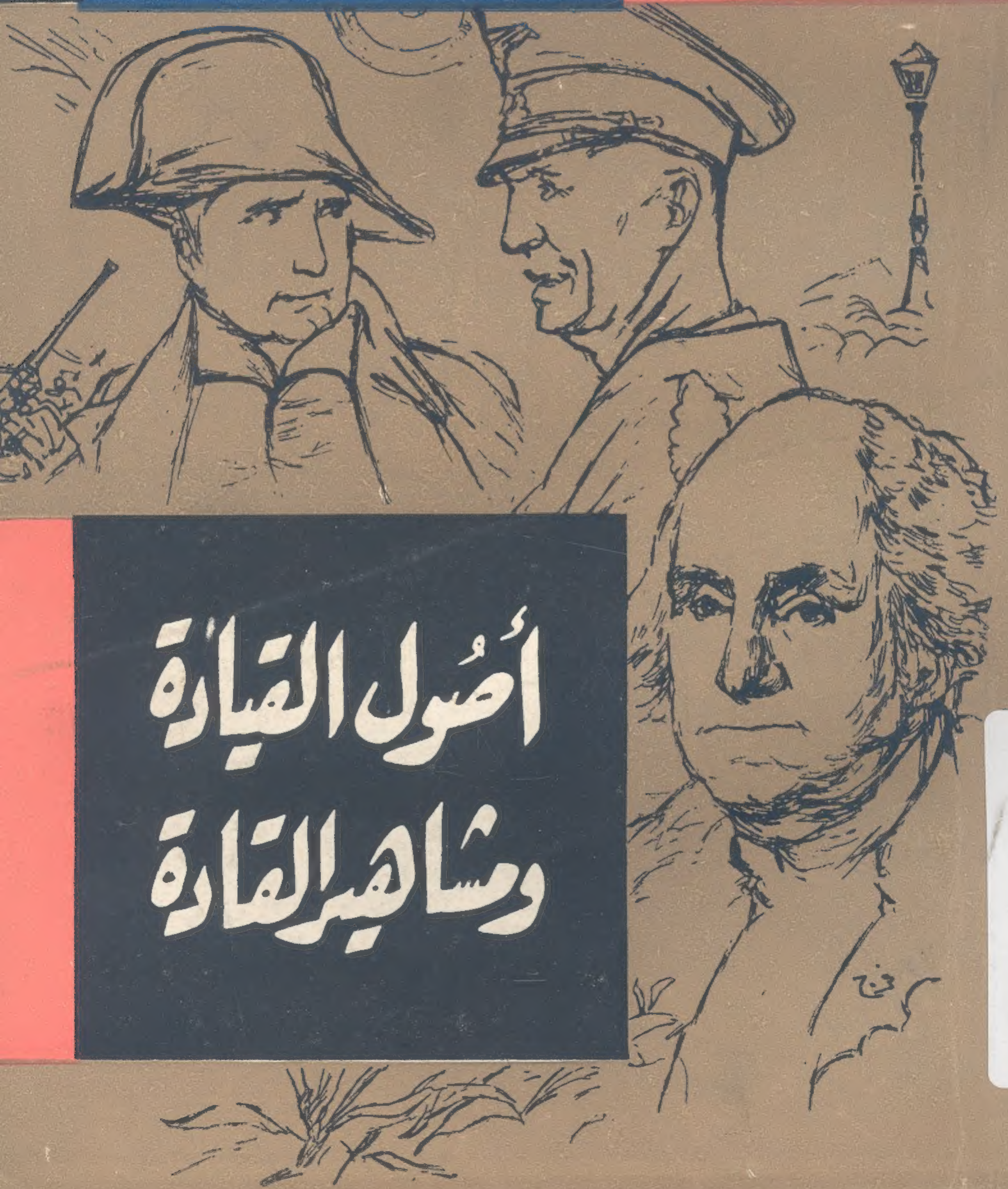


السيد فرج

كتاب الجمهورية

العدد ١٠

أصول القيادة  
ومناهج القيادة







# كتاب الجمهورية

يصدر عن دار الجمهورية للصحافة

المجلد العاشر  
أول نوفمبر

لا تستطيع أية جماعة من الناس أن تقوم بعمل  
مشترك - كالحرب - من غير قيادة تنظم شئونها وتعبئ  
قدراتها وتضع الأفكار والخطط التي تبلغ بها غاياتها ..  
وللقيادة الحربية أصول ومواصفات قديمة ، وقد  
نمت وتطورت وصارت في مقدمة عوامل النصر ..  
وكبار المتادة الذين حركوا آلاف وملايين  
البشر في وادي الموت وقرروا مصائر أوطانهم في  
ساعات الخطر الداهم .. كانت لهم مزايا ومواهب  
متعددة ، وفي مقدمتها الشجاعة والكد وتقديس الشرف  
العسكري ومعرفة الشعور والعواطف التي تؤثر في الرجال ..

أصول القيادة

و

مشاهير القادة

بقلم: السيد فرج

# القيادة

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »

بهذا الحديث الشريف يمكن أن يخط أول سطر في دستور القيادة ، ففيه توضيح لأهمية القيادة الرشيدة في أى مجال ، وأهمية القائد المحنك فى كل معترك .

وقد حملت إلينا صفحات التاريخ حكما رائعة وتعريفات ذائعة ، وكتبا وتسجيلات شتى لمشاهير الحكام والقادة والمؤرخين تحدث بأهمية موضوع القيادة والقادة ، كما أن الحروب المتتابعة جاءت بكثير من الدروس والآراء عن القيادة الناجحة والقائد الموفق .

وقد أجمع القديم والجديد على أن القيادة هبة واكتساب .  
وأنها تولد مع الشخص طبيعة فى ذات نفسه ، كما أنها تكتسب بالمرانة والتجربة .

والحرب - فى عرف ثقاتها وأبطالها - علم وفن ، ومن ثم كانت القيادة مزيجا من هذين ، فمن روح القائد وهواتف نفسه ومزاجه يشع الفن الحربى ، ومن خبرته وتجاربه ومرائته يبرز العلم الحربى ، فترى : الطبيعة الجنديّة ديدنه ، والمسؤولية عن الرعية كامنّة فى أعماقه .

والقيادة الحربية نوعان : أحدهما تهيئة وسائل القتال ، وهى القيادة العليا التى غالبا ما يضطلع بها رؤساء الدول أو الحكومات والثانية ادارة القتال ، أى تنفيذ الخطط فى ساحة الحرب . . . وقد وجد النوعان منذ القدم ، وان كانت الاختصاصات قد تزايدت وتطورت تطورا بينا على مر الزمن .

وقد أبرز تاريخ الحرب قوادا لم يتعلموا فى مدرسة ولم يكن لهم بقواعد الحرب سابق معرفة ولكنهم كانوا قوادا بالفطرة تعتمل فى نفوسهم الرغبة فى ادارة الجماعة وتوجيهها ، وتسول لهم عقولهم الدقيقة وضع الخطط واحكام تنفيذها . ومن هذا الرعيل كان عمر بن الخطاب يملك « طبيعة الجندى » ظاهرة وباطنة ، تبادر القلوب كما تبادر الأنظار . وتلازمه كأنها عضو من أعضائه . وكذلك كان جورج وشنطن الريفى الذى ترك مزارعه ليقود الجيش فلما أتم مهمته أراد أن يعود من جديد ليحيا حياته السلمية البسيطة .

كذلك أظهر التاريخ قوادا من صفوف الجند ، لم يلتقوا بالثقافة العسكرية فى معهد ولم ينتظموا فى دروس علم الحرب بالطريقة التى يعد بها القواد فى أيامنا وانما عركتهم الحرب وساعدتهم طبيعتهم وخواصهم الكامنة ليكونوا قادة ممتازين كالمارشال روبرتسون ، والمارشال سليم وغيرهما ممن حققوا قول بونايرت المأثور :

**« كل عسكرى يحمل عصا المارشالية فى جعبته »**

وقد تلقينا تعريفات عديدة عن « القيادة » تتفق فى عناصرها وان تنوعت الفاظها ، ومنها ذلك التعريف الذى ذكره الكاتب الفرنسى الذائع الصيت « أندريه موروا » :

**القيادة هى أن يسير القائد بمجموعة من الجند ، خاضعين لنظام معين ، نحو غرض معين .**



وهي كلمات تبدو سهلة ، ولكنها من نوع السهل الممتنع الذي يضم غاية المطلوب في أبسط أسلوب ، فقد عرف القيادة تعريفاً صحيحاً ، وعنى القيادة الفعلية لقوات نظامية ، نحو أهداف مرسومة .

وبذلك حدد مفردات القيادة : القائد ، الجنود ، النظام ، الخطة الهدف .

ان نقص أحد هذه المفردات يجعل بقيتها غير ذات موضوع ، من هذا نرى ان القيادة هبة واكتساب .

وانها اذا كانت تنشأ مع البعض كطبيعة ملازمة ، الا انها مما يمكن اكتسابه بالدراسة والتجربة والمرانة .

فاذا كان هناك قادة عظام بالفطرة ، فانه من الميسور في العصر الحديث ان يربى فن القيادة وان ينشأ قادة ممتازون من جميع الرتب بفضل التوجيه الصحيح والتدريب الجيد .



# القائد الحميد

« يجب ان يعرف القائد كيف يعطى جنوده تعييناتهم ، وای مؤن أخرى لازمة للحرب ، يجب ان تكون لديه ملكة وضع الخطط وقادرة عملية لتنفيذها ، يجب ان يكون دقيقا حمولا لماحا ، طيبا وقاسيا ، بسيطا ومبهما ، مخادعا ويقظا ، كريما وبغیلا ، فتعجلا ومتمهلا . »

هذه وغيرها من الصفات - طبيعية ومكتسبة - يجب ان يتحل بها القائد ، وعليه ان يكون ملما بمهنته فان جنودا يساقون بغير نظام لا يمكن ان يعتبروا جيشا ، مثل كومة من مجموعة مواد البناء لا يمكن ان نعتبرها بيتا منيفا . »

« سقراط »

لقد جادت الأفكار بأوصاف عديدة وتداولت المراجع تعاريف شتى لما ينبغي ان يتحل به القائد من صفات وميزات . . وقد استعرضها المارشال ويفل وطابق بينها ، ومن عجب أنه لم يجد وصفا كاملا تنطبق فيه الشروط في صدق وعمق كذلك الوصف السهل المتنوع الذي جادت به قريحة سقراط قبل آلاف السنين .

ولقد اجمع الثقاة والخبراء بفن القيادة على كثير من خصائصها ، ولعل أهم ما يتجمع لطبيعة القائد في صفتها المثلى : الشجاعة والحزم ، والصراحة والخشونة ، والفيرة على الشرف والنجدة والنخوة والنظام والطاعة وتقرير الواجب والايمان بالحق وحب الانجاز في حدود التبعات او المسئوليات .

واذن ، فمن خصائص القائد الجيد ما هو طبعى ومنها ما يمكن اكتسابه ، فما هي الخصائص التى يجب ان يعمل القائد لاكتسابها وتنميتها حتى تصبح ملازمة له ، وحتى تتاح له القيادة السديدة ، سواء فى جماعة صغيرة او مجموعة جيوش بأسرها .

#### (١) الطاعة قبل القيادة :

لا يستطيع الناس ان يشرعوا فى عمل مشترك ، كالحرب ، وأن يحصلوا على ثمرات النصر الا اذا قام واحد منهم بتوجيه نشاطهم وادارة دفتهم فى كل لحظة نحو غرض واحد محدد ، فبغير قيادة لا يكون عمل عسكري ، ومن غير طاعة لا تكون قيادة . . فالطاعة اوجب الواجبات وبدونها لا تنعقد سلسلة القيادة ، ولا يكون نظام او انضباط .

هذه الصفة ، الطاعة ، هي خميرة الجندية ، التى ينبغى أن نحيا دائما فى نفوس القادة ، من قائد المجموعة الصغيرة الى قائد الجيوش الكبيرة . . . ومن ثم كان تعلم الطاعة واعتيادها سابقا لتعلم القيادة وفنونها .

انظر الى القائد الخالد « ابن الوليد » أمير الجيوش العربية ، تأتمر بأمره ويشير اليها فتنتقل فى وادى الموت ، ويظل يتنقل بها من نصر الى نصر حتى اذا اتاه امر الخليفة بأن ينزل عن القيادة صدع بالأمر فى الحال ، واتخذ مكانه فى الصفوف تحت امره القائد الجديد !



وانظر القائد « الأستاذ » ويفل يحمل على قوات المحور في صحراء مصر ، ولا تكاد قواته تقف على أقدامها لقلّة مددها وعتادها ولقوة عدوها ، وفي هذا المأزق تأتيه الأوامر العليسا بإرسال بعض قواته الى معركة اليونان ، فيصدع بالأمر ، ويصدق في ذلك عن « طبيعة القائد » المطبوع على الطاعة ، أم القيادة .

الطاعة اذن واجب لا هوادة فيه ، وواجب القائد أن يتلقى الأوامر وينفذها اذا استقام الأمر واستقرت التبعة ، وواجبه أن يراجع اذا اتسع مجال المراجعة ، فالضابط الحر الاصيل حرى بأن يكون عليما بموقع الطاعة وموقع المراجعة وموقع المشاورة حتى يصل الى الأمر الذي يحمل التبعة فيه .

## (٢) الشرف العسكري :

لابد أن يحتل الشرف العسكري اعتبارا ساميا في نفس الضابط ، فالخلق مقدم على الذكاء ، وقد كانت قوة الخلق أهم خصائص القادة العظام .

والجندية تقاليد تقوم على الشجاعة والنخوة والفيرة على الشرف وتتنافى مع الكذب والرياء والنفاق ، وقد كان يحرم من شرف الجندية من ثبت عليه التراجع أو النكوص في كلمة الشرف التي أخذها على نفسه . . وكان مثل هذا الجزاء يوقع على السكيرين وعلى كل من ثبت عليه جنسية التهجم على السيدات ، أو اتيان أمر مشين يتنافى مع قدسية الجندية .

وناهيك بما يكون من أمر قائد يتقاعس عن أداء واجبه ، أو يتخلى عن جنوده في ساعة الحرج بالتسليم أو بالفرار . . فذلك هو الموت قبل نهاية العمر وله دو المتنبي الجندى الشاعر اذ يقول عن رذيلة الفرار :

وأمر مما فر منه قراره وكقتلة الا يكون قتيلا

ان شرف الجندي غالى ، ولا بد ان يتخذ القائد سلوكا يميزه  
عن بقية المواطنين بحيث يدفعهم الى احترامه ، وأن الشعار الذي  
يجب ان يتخذه القائد هو :

**« الموت ولا العار »**

واذا اودى شرف القائد فلا شيء يكفر عنه الا الدم .

### **(٣) الثقافة العامة :**

الثقافة العامة هي المدرسة الحقيقية للقيادة ، وبدونها تذهب  
المعرفة العادية ( المعلومات العسكرية ) هباء وليس بين عظماء  
القادة من لم يفترف من نتاج الفكر البشرى واعتمل بالزرعات  
الانسانية ، واكتسب من دراساته ، الذوق والشعور بالفن . .  
وفى هذا يقول مارشال فوش :

**« ان من خصائص دراسة الآداب والفلسفة والتاريخ خلق  
الأفكار من العالم الحي ، وبالتالي اكساب ذهن مرونة وسعة  
افق ، وحفظه في حيوية نشيطة خصبة مستمرة » .**

ان القائد القدير - كما يصفه مارشال فايول - هو الذى  
**« يجمع الى متانة الخلق سلامة الذوق ، وكثيرا من التحصيل »**  
لان المعرفة لا تكتسب الا بالاطلاع الواسع .

### **(٤) التدريب العملى :**

يجب ان يكون القائد محبا لمهنته عارفا بمشاقها ومسئولياتها  
متجاوبا من أعماق نفسه مع مشكلاتها ومفاجأتها ومستعدا للعمل  
فى أية لحظة وتحت وطأة أية ظروف ، فمعتزك الحرب هو  
المعلم الأول الذى تتلمذ عليه بونابرت فقاد جيشا كاملا وهو فى  
السادسة والعشرين ، والاسكندر الذى كسب معركة « أربلا »  
وهو فى الخامسة والعشرين ، وبيار الذى قضى حياته الطويلة  
فى حروب متتابعة ، ودافو الذى اشترك فى القتال ثلاثة  
وعشرين عاما .



ولكن الحرب معلم قد لا يتسنى لكثير التلمذة عليه فى كل وقت . واذن فلا بد من ميدان حرب مصفرة ، ذلكم هو : ميدان التدريب العملى .

كتب مارشال فايول فى هذه النقطة يقول :

« لم يظن الناس الا قليلا الى ان كثيرين من كبار قواد الجيش فى الحرب الاخيرة كانوا اساتذة المدرسة الحربية مثل فوش وبيتان . . . ولأول مرة شوهه اساتذة يصبحون قوادا عظاما ، والفضل فى ذلك للنهج الواقعى المتبع للتعليم » .

فالأستاذ الذى ظل سنوات عديدة مع تلاميذه يقوم بحل مشاكل الحرب كثيرة التنوع والاختلاف لا يمكن ان تراه مرتبكا فى ساحة المعركة اذ يخرج الحل من دماغه تام الاعداد . . . ويشترط لهذا ان تكون هناك عقول راجحة ، حرصت على حصر التعليم فى مسالك العقل المستقيمة ، مخصصة لكل قوة من القوى التى تتعامل فى سير الحرب بصيبتها اللائق .

وكان من عوامل قوة المارشالات ويفل ورومل وبيتان انهم قاموا بالتدريس فى المدارس الحربية وانهم قادوا قواتهم فى المناورات التدريبية بنجاح تام ووفقوا فى حل مئات « المشروعات الحربية » فى فترات التدريب وأيام التدريس .

ان القيادة الناجحة هى التى تتسم بعقلية عملية ، وقبل ان يصبح « وليم سليم » فيلد مارشال كان قد درب وقاد وحدات المشاة من فصيلة وسرية وكتيبة ولواء الى ان قاد مجموعة جيوش قيادة فعلية فى مختلف الميادين والأجواء ، وكانت التجارب العلمية هى التى زودته بذلك المعين الهائل من الكفاءة الحربية حتى أصبح من أحسن القواد فى زمانه .

#### (هـ) الخصائص الداخلية :

يقول مارشال ويفل : ان القائد الناجح يجب ان يكون على خلق . انه يعرف هدفه جيدا ثم تكون له من الشجاعة وقوة

العزيمة ما يمكن له من تحقيق هذا الهدف تماما .  
والحق أن القائد في حاجة لكل فضيلة بشرية ، ولكن هناك  
صفات خاصة أكد عليها القادة العظام واتفقوا على لزوميتها ، وفي  
مقدمتها :

أ ( الإرادة : يجب أن يعرف القائد كيف يتخذ قرارا ، وكيف  
يتحمل مسؤوليته .

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فان فسادالرأى أن تترددا  
وقد كان الامبراطور نابليون يقول « ان الثبات يدل كل  
صعب » والقائد المحنك هو الذى يجمع المعلومات ويقنن  
الموقف قبل أن يحزم أمره فمتى استقر على أمر جعل منه  
قرارا نافذا ، اذ ليس أكثر تشبيطا للهمم من التردد .

ب ( الثبات على الجهد : هى الصفة المكملة للإرادة وهى نوع  
من الصبر المطلوب من القائد .

لقد وصفوا العبقرية بأنها نتاج جهد عظيم ، وأن تسعين فى  
المائة منها جهد وعرق ، والباقى للحظ . . ! فالعسكرى وليم  
روبرتسون قضى أحد عشر عاما فى الصفوف قبل أن يرقى  
الى رتبة ملازم ثان ؟ وذاق فى هذه الفترة الطويلة مرارة  
الحبس والعناء فصبر عليها ولولا ذلك لانتهى جنديا عاديا .  
ولكنه كان رجلا يتميز بالصبر العظيم والثبات على الجهد ،  
وكانت حياته فى ادوارها المختلفة عسكريا ، وضابط صف،  
وضابطا تتسم بالنشاط والأدب . وهو ما اشتهر عن الفيلد  
مارشال سير وليم روبرتسون .

وكان نابليون يقول : ان أعظم الأخطار تتهددنا فى لحظة  
النصر .

ج ( الشجاعة الفطرية : وهذه فضيلة لا يصاحبها الرياء والخبث ،  
وهى أول دوافع الهجوم ، كما أنها الصفة التى تعبر بصاحبها  
معترك العنف أو حالة المفاجأة .



وقد كان فولتير يمتدح في القائد البريطاني مارلبورو  
« الشجاعة الهادئة وسط الأخطار الماحقة ، والهدوء  
النفساني في غمرة الويل » . ويعتبرها السبب الأول في  
نجاح ذلك القائد الكبير الذي يعتبره ويفل أعظم قائد في  
التاريخ .

وقد كان نابليون يسأل : هل هذا القائد موفق ؟ وقد فسر  
لنا ويفل هذا السؤال بقوله : ان نابليون كان يقصد أن  
يسأل « هل هو جرىء ! » فان القائد الجريء هو الذي  
يحالفه التوفيق ، ولا يمكن أن يكون القائد موفقا مالم يكن  
جريئا .

ولعل من أبرع الأوصاف في كافة اللغات ما وصف به  
المتنبي أميره سيف الدولة بن حمدان في معترك القتال  
اذ قال :

تمر بك الأبطال كلمي هزيمة      ووجهك وضاح وثفرك باسم  
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهي      الى قول قوم أنت بالغيب عالم  
( د ) الكتمان : وهذه فضيلة من ألزم لوازم القائد ، وكان  
« ريشليو » يصفها بأنها روح الأعمال ، وفي التاريخ أن أحد  
الملوك باح لزوجته بأسرار خطته ، ولكنها نقلتها في الحال -  
كما هي عادة السيدات ! لاحدى وصيفاتها وظل السر يتنقل  
بسرعة عجيبة حتى بلغ مسامع العدو ، فكلف ذلك الملك  
عرشه ورأسه .

انه لا يكسب الهيبة شيء كالصمت ، فان الكلام يوهن الفكرة  
فتتبدد الشخصية بينما يتطلب العمل « التركيز » .

وكان عظماء القادة لا يتكلمون ، ولم يكن هناك من يضارع  
نابليون في صمته . . وقد علم قواده ان يحيطوا انفسهم  
بمثل صمت الرهبان ، ولم تكن شفاهم تنفرج الا عن النطق  
بالأوامر .

هـ ( الصلابة : وهذه الصفة ملازمة لجميع أسلحة وعتاد الحرب ، وهي أيضا لازمة للقائد ويرى المارشال ويفل أنك اذا بحثت عن اسباب اخفاق عدد كبير من القادة فسوف تجد ان أهم هذه الأسباب جميعا هو افتقارهم الى « الصلابة » .

وقد اشتهر عن المارشال جوفر انه كان يأبى على نفسه الاستسلام لعواطفه حتى لقد شكك بعض أصدقائه من صلابته . . ولكن هذه الصلابة هي التي مهدت السبيل لانقاذ قوات الحلفاء في أوروبا .

وكان خالد بن الوليد مشهورا بالصلابة وقال عنه الخليفة عمر « ان سيف خالد فيه رهق » ولكن هذه الشدة هي التي جعلته سيفاً من سيوف الله وقائداً من قواد التاريخ .

ان خير القواد من كان شديدا لا تهزه كارثة ولا توهن عزمه مفاجأة .

وهكذا كان عظماء القادة ، فكان هانيبال يقول : « لا انظر خلفي مهما حدث » وكان لودندورف يصيح : القتال الى النهاية . . الى الموت » .

والشاعر العربي يقول :

وقلبدوا امركم لله دركمو

رحب الدراع بامر الحرب مضطلعا

لا مترفا ان رخاء العيش ساعده

ولا اذا عض مكروه به خسما

و ( القدوة الحسنة : لقد اتينا على سرد بعض الصفات والخصائص التي يجب ان تتوفر في القائد لتعلو مكانته وتصح قيادته ، وهناك ميزات أخرى تعد مكملة لشخصية القائد ، ومنها مظهره العام .

وليس آذى للنظر من منظر ضابط غير معنى بهندامه ، فالضابط يستطيع - حتى في ظروف خدمة الميدان - ان



يكون حسن الهيئة حليقا نظيف اللبس حتى يوحى مظهره  
وتصرفاته بهيبة القيادة ونشاطها واكتمالها .

والجنود يتأثرون بقائدهم ويفتدون به ، مما يقتضى الضابط  
أن يكون مثلاً لجنوده ، وأن لا يتطلب أمراً إلا كان السابق إليه  
المتمثل به فالمثل خير معلم ، وكيفما يكون الضابط يكون جنوده .

ومن واجب القائد الذى يوجه جنوده فى وادى الموت ويتطلب  
منهم البسالة والاقدام والتضحية أن يكون متحلياً بهذه الصفات .

وقد القى المارشال سليم درسا على الضباط قمينا بالاعتبار ،  
قال :

« فى ساعة حرجة من ساعات التقهقر صادفت احداً  
السرايا تفتح طريقاً فى الغابة ، وأنباونى أنهم فى حالة سيئة ،  
فألقيت عليهم نظرة واحدة ، وقلت لنفسي :

يا الهى انهم أسوأ مما كنت أظن .

وسرت حول ركن الشجرة فوجدت الضباط يهيئون لأنفسهم  
« شاياً » .

حقيقة كانوا مجهدين كالجنود ولكن ليس هذا هو لب الموضوع  
لأن :

« الضباط وجدوا ليقودوا الجنود » .

وانى أناشدكم بصفتم ضباطاً لا تأكلوا أو تشربوا أو تدخنوا  
أو تجلسوا أو حتى تستندوا الى شجرة ، حتى تتأكدوا شخصياً  
أن جنودكم قد هيات لهم الظروف أن يفعلوا ذلك قبلكم ) .

« القائد الجيد » مجموعة صفات ومميزات منها ما تهبه  
الطبيعة. ومنها ما تكونه التربية والنشأة والأفكار الخصوصية ،  
وأهم الصفات التى أجمع عليها الثقة : حب المهنة - الجرأة -  
الثقافة العامة - المرونة العملية .

# كيف نربي في القائد فن القيادة؟

انك تستحق لقب القائد العظيم :

- اذا : صفتت قواك بصورة فنية .
  - اذا : ركزتها بطريقة صحيحة .
  - اذا : دفعتها للقتال في الوقت المناسب
  - اذا : ادرتها بحكمة .
  - اذا : كافاتها بحق .
  - اذا : حرصتها بعناية .
  - اذا : وزنت الامور بدقة .
- الحكيم الصيني ( ساما )

( اولا ) التنشئة الديمقراطية :

اننا نريد جيشا من الاحرار ، ولا يكون ذلك الا بضباط  
احرار ، ضباط يقدسون مهنتهم ويؤمنون بأهداف وطنهم ،  
ويعملون في جد وصمت .

ولقد انتهى العهد الذي كانت الاوامر والتعليمات تصدر فيه  
بطريقة جافة تلزم بالتطبيق الحرفي ، مما كان يحد حرية الفكر  
ويقتل روح الابتكار ويجعل تنفيذ الاوامر عن انصياع ورهبة ،  
وليس عن اقتناع ورغبة .

ان الوسيلة الفعالة لتربية فن القيادة في الضابط هي ان  
تغير اساليب التدريب ونظم المعاملة فنضعها على وتيرة جديدة



تحوطها روح الديموقراطية التى تثير فى العقل عوامل الاقتناع والرضى .

يجب أن تعطى للضابط الفرصة للمناقشة حتى يفيد ، ولابداء الراى حتى لايتقيد ، ولحرية العمل حتى يتعود . . ومن ثم تكون ديموقراطية تساعد على ابراز المواهب وتمرين العقل وتنمية الشعور بالمسئولية .

ان طريقة اعطاء الاوامر بكافة التفاصيل ليس لها نتيجة الا حرمان القادة المنفلدين من حرية التفكير ومن التصرف المناسب الذى يقتضيه الموقف الفعلى .

والطريقة الصائبة هى أن تصدر التعليمات العامة ، فيتلقاها القادة الفرعيون ويشرعون فى تنفيذها فى وحداتهم على طرائق تفكيرهم الخاصة . . اما التقيد الحرفى بالاوامر فيصنع من القائد « جروشى » آخر يورد قواته موارد الضياع كما فعل فى معركة « ووترلو » اذ وقف عند حدود الامر الذى أعطى اليه يمنع الجنرال البروسى بلوخر ، وظل مكانه حتى انتهت المعركة دون ان يفعل شيئا لانقاذ فرنسا من الهزيمة .

حدث المارشال بيتان قال :

كنت فى زمن الحرب اذا رشح لى ضابط جديد فى هيئة اركان الحرب اصطحب هذا الضابط الى الميدان وأوضع تكتيكا خاصا يتفق مع طبيعة الموقف واتولى بنفسى تحديد طريقة الحل . فاذا رايت أن الضابط الجديد يوافقنى على أقوالى ( على طول الخط ) أمرته بالعودة فورا من حيث أتى .

( ثانيا ) تنمية الشعور بالمسئولية :

ان تنشئة القواد تستهدف خلق الشخصيات وتمهدها ، دون أن يفضى هذا الى تشجيع الادعاءات والاستبداد بالرائى ولا ريب أن اظهار البداة لا يجدى نفعا اذا كانت النزعة

العسكرية جامدة عقيمة ، والقانون يرداد تناقضاً كلما ازداد تعقداً .

قبل حروب بونابرت كان الجيش عبارة عن مجموعة واحدة تأتمر بأمر رجل واحد وتتحرك بحركة رجل واحد فى أساليب معدودة وبأسلحة محدودة .. وكان هناك قائد واحد مسئول عن جميع ادوار المعركة ! يضع الخطة ويعطى الأوامر ويراقب التنفيذ ويعدل حسبما يشاء ويفعل ما يريد !

ولكننا اليوم فى حال جديد ، زاد عدد الجيوش وتنوعت الأسلحة ، وتعددت المهام فى ميدان القتال وأصبح الجيش مكوناً من وحدات عديدة واقتضى ذلك ظهور قيادات كثيرة مسئولة تعمل مع القائد العام فى تنفيذ الخطط التفصيلية .

فالمائة ألف التى كان يقودها رجل واحد أصبح يقودها اليوم عشرة آلاف .

انتهت المركزية ، وأصبح لكل جماعة قائدها وأسلحتها وواجبها . وهذا يقتضى أن يكون الضابط على قدر كبير من المعرفة ، وعلى علم أكثر بالمسئولية العظمى التى تحمل اكتافهم القوية .

ولا ريب أن الشعور بحرية العمل ومسئوليته يريدان فى القائد روح الافتخار والثقة ، الأمر الذى يقتضى أن تترك لقوات الوحدات حرية التصرف فى جميع الشئون فى السلم - وذلك طبعاً فى ظلال الخطة العليا العامة - حتى يكون للتغود على ممارسة الأعمال فى فترات التدريب أثره فيما بعد ، أى فى ميدان القتال .

### ( ثالثاً ) التدريب العملى :

ان التعليم المستمر والتدريب العملى هما الواجبان الأساسيان لجميع القواد ، كباراً وصغاراً .

وإذا كانت الحرب هى المعلم الأكبر فان التدريب العملى المتقن هو المعلم الأول . وخاصة إذا أحيط بالجدية التامة وشابه ظروف الحرب وأحوالها المتنوعة .



والمشروعات فى دراسات المشكلات سيصادفها القائد فى الميدان على حسب رتبته « والمناورة » الكاملة هى الوسيلة المفضلة لاتقان التدريب .

والقاعدة الاولى فى التدريب : استكمال جميع الوسائل التى تمكن من ايجاد ميدان قتال بكافة ظروفه المنتظرة ( كالأحوال الجوية ، والأرض والليل والذخيرة الحية ) فالتدريب الصحيح لا يتم فى قاعة المحاضرات وانما فى الخلاء بقوات وأسلحة وعتاد كاملة بقدر المستطاع وفى ظروف شبيهة بظروف المعركة المرتقبة .

#### ( رابعا ) دراسة التاريخ :

ان فن القيادة العسكرية يتكامل بانتهاج دراسة جديدة ، ولقد نوه المحاربون العظام والقادة بأهمية دراسة التاريخ الحربى .

والغاية من دراسة التاريخ الحربى دراسة صالحة هى تدريب العقل وشحذه وتنمية قوة الابداع ، وتسمية الأفكار المتحررة الطليقة من ربة التقليد والروتين ، وليست الغاية منه - كما يسيء البعض فهمها - هى التشبث بالشكليات والتقييد بالصور التى تنطبع فى الأذهان عن المعارك الغابرة . . اذ ليس ثمة منهج أو مدرسة فكرية يتحتم اتباعها .

لم يكن القادة الذين يدرسون خطط أسلافهم يفعلون نفس الشيء ، وانما كانوا يفيدون على طرائقهم الخاصة وعلى حسب ظروف حربهم ، فكانوا أحرارا فى عقولهم وأعمالهم وكانوا ينتجون أفكارا جديدة ويأتون بمباغطات ومفاجآت فذة .

والتاريخ الحربى يحدثنا بتطور نظريات الحرب وأفكار القدامى وتصرفاتهم فى الأزمات والمآزق ، وهو بذلك يمكننا من التفكير فيما كنا نفعل فى مختلف المواقف .

وقد كان يوليوس قيصر يدرس حملات الإسكندر ، وكان مولتكه يطالع بعمق نابليون بونابرت ، فالتاريخ لهؤلاء القادة كان بمثابة الأساس أو القاعدة وفى هذا يقول المارشال فوش :

(اننا نفحص الحقائق التي امدنا بها التاريخ ، من قرب وتحت  
المنجر ، دعنا نفعل هذا ونحن في ظروف واحوال مشابهة للمواقف  
التي نجد انفسنا فيها كالوقت والمكان والطقس والتعب واسباب  
الضيق والمواقف الفاضلة ، مما يحيط بالسرية والكتيبة  
واللواء . . الخ . دعنا نستعرض الصعاب وكيف نتغلب عليها ،  
دعنا نناقش القرارات التي اتخذوها ، والنتائج التي وصلوا اليها  
لنفحص المشكلة ثانية على وجه التحديد ) .

ان تعليمنا يجيء نتيجة لخلاصة الدراسات الدقيقة ، وبالطبع  
لا يوازن التاريخ الحربي ما للتجربة العملية « الحرب » ولكنه يفتح  
الطريق للتجربة .

وكما نقصت الكفاءة في الجيش فابحث عن السبب تجده  
في قلة الدراية بالتاريخ الحربي والمعلومات العامة .

#### ( خامسا ) تدرج المعلومات :

اذا كان من الآمال الكبار أن يكون كل قائد على دراية واسعة  
والمأم تام « بكل شيء » في المهنة وماحولها ، فان من الآمال المعقولة  
أن يكون القائد ملما بمقتضيات قيادته .

ولهذا شرعت الدول المتقدمة في تنظيم برامج دراسية وثقافية  
لضباطها حسب رتبهم ومدة خدمتهم ، وقد نصبت هذه البرامج  
حتى أصبحت تتناسب مع أغراضها فكل رتبة دائرة معلومات لا  
تغنى عنها .

وفي الولايات المتحدة ينظمون البرامج الثقافية للضباط في  
خمس فترات كل منها ذات أبواب ومواد محددة تتناسب مع  
احتياجات الخدمة : برنامج للمتخرجين حديثا ويستمر ثلاث  
سنوات ، ثم برنامج الأعداد لكلية أركان الحرب ، وبرنامج ثالث  
لخلال الدراسة بكلية أركان الحرب ، ورابع للفترة ما بين كليتي  
أركان الحرب وكلية الحرب . . أما البرنامج الخامس فللمن يتخرج  
من كلية الحرب .

وبهذا يتحقق التدرج الطبيعي ، ويتحقق مطلب كل رتبة ، ويظل الضابط يتلقى المزيد من المعلومات الضرورية مرحلة بعد مرحلة حتى يصل الى أعلى درجات القيادة وقد صارت له ثقافة حافلة واحاطة شاملة .

### ( سادسا ) اعداد الميسات والمكتبات والملاعب :

طابع الجندية التقشف ..

ولكن من الأهمية بمكان أن يكفل للضابط مستوى معيشيا لائقا لا بهرج فيه ولا ترف .

ولا مندوحة من العناية بميسات الضباط حيث يقيمون ويعيشون معظم وقتهم على مقربة من ثكنات جنودهم .

فإذا ما أمد للضباط اقامة طيبة في مبنى لائق وحجرة مريحة يحظى فيها بنوم هادئ وقراءة هادئة .. فذلك يبعث فيه الرضى والشعور بالذات وينمى الثقة والإرادة .

ولا بد من مكتبة حافلة يلجأ اليها الضابط في وقت فراغه يقاب محتوياتها وينتقى ما يتفق وذوقه ومشربه من الكتب والأولفات العسكرية والتاريخية والثقافية ، فتزداد معلوماته ويتسع افقه وتنوع ثقافته .

والى جانب الميس والمكتبة ، لا غنى للضباط عن ملاعب الرياضة المتنوعة المجهزة بجميع لوازمها ، فالجيش احوج ما يكون الى قواد رياضيين ماديا ومعنويا ، قواد رشقاء أشداء صحت أجسامهم وعقولهم وروحهم .

واذا كان العقل السليم فى الجسم السليم ، فان الجسم السليم هو أساس التدريب بل هو أساس النصر .

وقد كان ولنجتون يقول : « كسبنا المعارك فى ملاعب الرياضة » .



لكى نربى فى القائد فن القيادة يجب ان يجد حوله « جوا »  
ديموقراطيا يتلقى الاوامر وينفذها اذا استقام الامر ويراجع  
ويناقش ويشاور ، ولا تكون ثمة مركزية تحرم القائد حرية  
التصرف والابتكار وان يكون التدريب عمليا يتمشى مع ظروف  
الحرب ، وان يدرس التاريخ الحربى دراسه تقدير ومواجهة  
وموازنة ومقارنة .

كما يجب ان يجد الضابط « ميسا » راقيا و « ملعبا » مجهزا  
و « مكتبة » عامرة .

# أهمية وجود القائد الجيد

« لا يوجد جندي رديء ، بل يوجد ضابط رديء »  
( بونابرت )

ان تعبئة آلاف الجنود ليست المهمة الرئيسية في تجهيز الجيش للنصر ، ولكن المهم هو وجود القواد الكفاء . . فعلى قدر كفاءة الضابط تكون كفاءة رجاله ، وان روحه لتشجيع فيهم جميعا . وتاريخ الحرب شاهد صدق على ان القائد الجيد هو الذي يحرز النصر ، فالاسكندر هو الذي قهر الفرس وليس الجيش المقدوني ، وقيصر هو الذي اخضع الغال وليس الجيش الروماني ، وفردريك الأكبر هو الذي دافع سبعة أعوام عن روسيا ضد دول أوروبا الثلاث .

ان كفاية القائد امر لا بد منه ، وليس القصد من « الكفاية » هي المعلومات العسكرية فحسب بل روحه وتجاربه مع جنوده مما يجعلهم يقدمون في غير وجل ويستبسلون عن رضى .

وقد حدث خلال الحربين العالميتين أن شوهدت فرق سيئة كانت تقاتل متقهقرة وتستسلم للفرع فاذا بها تتحول الى الشجاعة والمقاومة بمجرد ان يتولى قيادتها قائد كفء .

بالقيادة السديدة استطاع بونابرت أن يحمل جنودا جياعا أنصاف عراة عبر جبال الالب ، واستطاع وشنطن أن ينتصر بجنود سلبج لم يمتشقوا الحسام من قبل .

وعندما ولى عقبة بن نافع قيادة الجيوش العربية لفزو افريقيا  
اقال التاريخ أن هؤلاء العشرة آلاف الذين نعموا بقيادته أحسوا  
روحاً قوية تفهمهم وتشجدهم عزائمهم تحت لوائه ، حتى كان الواحد  
منهم بألف ، فما منهم الا محب للجهاد مستهين بالاهوال مرحب  
بالموت كفاءة ، وزحف بهم عقبة فما شهد الروم ولا البربر زحفا  
اشد هولا من هذا الزحف !

ان وجود القائد الجيد يعمل عمل السحر فى نفوس مرؤوسيه  
من القواد والجنود وكان عمر بن الخطاب يصف الزبير بن العوام  
بأنه « رجل بألف رجل » وكان جنود « روبرت لى » يقاسون مرارة  
الهريمة مع آلام الجوع والمشقة ، وما ان تهل عليهم طلعتة حتى  
يهبوا للقائه ناسين متاعبهم غير آبهين لهزائمهم .

### ذلك لأنه كان قائداً يقدره جنوده

وليس القصد من القائد هو القائد العام ، وانما القصد هو كل  
اقائد ، فى أية رتبة ، وعلى رأس أية وحدة ، فالجيش سلسلة من  
القيادة تعمل كلها معا ، فاذا اصاب احدى حلقاته عطب تأثرت معه  
السلسلة كلها .

يجب ان نعد القادة بنفس الروح التى نعد بها فريق كرة القدم  
الذى لا يتوقف مصيره فى المباراة على مجهود رئيس الفريق وانما  
بمجهود الجميع تجرى المباراة حسب الخطة الموضوعة ، ويخزنا  
الفوز والقلبة .

كيفما يكون القائد تكون الجنود .

واذا وجد القائد الجيد انتظمت سلسلة القيادة وسلمت روابط  
الكيان العسكرى وارتفعت الروح المعنوية ، وبرزت قوة الجيش  
وأصبح النصر قريب المنال .



## العبقرية العسكرية . .

« ان افضل انبياء المستقبل هو . . الماضي » .

هكذا قال لورد بيرزون فى أشعاره ، وهو قول يجب على العسكريين أن يفهموه جيدا ، وهو السبيل الذى أوضحه نابليون لمن يريد أن يكون له القدح الملقى فى ميدان الحرب ، اذ قال : اقرا وأعد قراءة الحملات السابقة .

والعبقرية الحربية موهبة من السماء ولكن القيادة تتطلب العلم والدراسة والتمرين ، فالقادة يولدون ويصنعون وكثيرون هم الذين واتتهم العبقرية العسكرية ولم يحسنوا شيئا لأن الفرصة لم تكن مواتية والطريق لم يكن واضحا ، فلا بد من علم وتدريب لكى يحصل القائد على المعلومات والامكانيات التى تكفل له البروز فى ميدان القتال .

وقد امتاز كل قائد عظيم بصفات ومؤهلات ساعدته على النجاح وجعلت له مكانا فى التاريخ ، ولكى نعرف الصفات اللازمة للقيادة لابد من مراجعة تراجم القادة العظام .

وليس من الضرورى فى حساب العبقرية العسكرية أن نضع فى سجل البطولة أسماء المنتصرين وحدهم فهناك قادة عباقرة خسروا المعارك ، ولكن شهد التاريخ لهم بالبطولة الخارقة والمقدرة العظيمة . . ورب هزيمة خير من انتصار .

وعلى سبيل المثال نذكر أن كلا من نابليون وهانيبال قد منى بالهزيمة وأحيق به الخسران ، وخاصة فى آخر معركة له وآخر عهده بالحرب ، فهل يمكن القول بأن هازميهما ولنجتون وسيبيو أحسن منهما ؟

وهل كان القادة المنتصرون فى الحرب الاهلية الامريكية افضل  
من الجنرال روبرت لى ، وهو الذى يعتبر اعظم عبقرية عسكرية  
انجبتها الحرب الاهلية .

فى هذا وغيره من نواحى موضوع العبقرية العسكرية كتب  
كثيرون من المؤرخين ورجال السيف والقلم ، القدامى والمعاصرين ،  
وهذه هى بعض الآراء الجديرة بالتسجيل .

### رأى ليدل هارت

لقد وضع نابليون سبعة أسماء فى قائمته المنطوية على كبار  
القادة فاذا هم :

- (١) الاسكندر .
- (٢) هانيبال .
- (٣) يوليوس قيصر .
- (٤) جستاف أدولف .
- (٥) تورين .
- (٦) أوجين .
- (٧) فردريك الاكبر .

وانى ارى ان قائمة نابليون قد أهملت الكثيرين ، ومنهم  
(ابامينثونداس) الذى سار فردريك على نهجه بعد ألفى عام ، وايضا  
« سيبو » . ثم « بلزارىوس » و « نارسيس » .

وفى العصور الوسطى كانت جيوش « جنكيزخان » تطوى  
بسط آسيا ثم أوروبا وتمحق كل جيش فى طريقها من الباسفيك  
الى البلطيق .

ولم يذكر نابليون ايضا « جنزالو قرطبنة » اول من لقب  
« القائد العظيم » وقيل عنه ايضا « اول قائد عصرى » .

وإذا ما ذكر « تورين » فيجب أن يذكر أيضا « كوندية » وبالمثل « كرومويل » القائد البريطاني الذي أحرز انتصارات هائلة وترك ذكرا داويا في التاريخ .

وليس من العدالة أن يذكر نابليون في قائمته « أوجين » ويهمل زميله « مارلبورو » قاهر فرنسا في عصر الملك الشمس .  
وأخيرا فإن نابليون لم يذكر « نابليون » في قائمته ولم يذكر أيضا « ولنجتون » ؟

### قادة الحرب الأهلية

وفي الحرب الأهلية الأمريكية لعت نجوم « جاكسون » « شرمان » أحد الجنرالات الأفذاذ الموهوبين في الاستراتيجية ، وكذلك « بنفورد » الذي أوتي من العبقرية ما يجعله خير قائد في تلك الحرب من الجانبين ، فهو أول مبتكر لخطط ضرب خطوط مواصلات العدو والتسلل إلى المؤخرة وأجراء الحرب الخاطفة .

### قادة الحروب الحديثة

وجاءت الحروب السبعينية بمقربة لا غبار عليها ، فالقائد مولتكه استطاع أن يحرز انتصارات خلافة ضد النمسا ( ١٨٦٩ ) وضد فرنسا ( ١٨٧٠ ) وهي انتصارات فاصلة تركت أثرا عميقا في أوروبا .

ولم يستطع أحد قادة الحرب العالمية الأولى أن يقفز إلى صف الأولوية بين القادة العظام ، ولكن يمكن القول بأن كلا من لدوندورف وفوش قد صنع شيئا أما القائد الذي يمكن اعتباره عبقرية فكانت ساحته بعيدة عن أوروبا ، وهو الجنرال لورنس .

### صفات العبقرية

وبعد .. فهل نستطيع أن نستدل على الصفات والمزايا التي اجتمعت في هؤلاء حتى نعلم أسرار عبقريتهم .



لقد كان جوستاف من القلائل الذين ابتكروا بأنفسهم خططا جديدة وكان نسيج وحده .

ويمكن القول بأن إلامينونداس ، وسيبيو ، وجونزالو القرطبي ، وكرمويل كانوا من الأفذاذ ، ولكنهم لم يوضعوا فى قائمة نابليون هذه القصيرة .

والى الاسكندر يرجع الفضل فى خطته اما تنظيمات جيشه وتسليحه فيرجع الفضل فيها لوالده فيليب ملك مقدونيا ، كما يدين بونابرت بأفضال القادة الذين نظموا الجيش الفرنسى قبل الثورة الفرنسية .

ولقد ظهر كثيرون من القادة العظام ، منهم من نبغ فى التكتيك ومنهم من برع فى الاستراتيجية ، ولكن هناك صفات طبيعية تعتبر روح القيادة - وخاصة فى العصر الحديث الملىء بالمفاجآت - هذه الصفة هى التى تحدث عنها فولتير واعتبرها مفتاح شخصية « مالبورو » وهى : الشجاعة الهادئة فى وسط الأخطار الماحقة والهدوء الروحى فى غمار الويل ، والتى يقول عنها الانجليز « رأس باردة » .

وهناك صفة أخرى يطلق عليها الفرنسيون « روح الإدراك » وهى الشعور بما يمكن وما لا يمكن وهى مرادفة لكلمة « كومون سنس » أو « المعقول » .

وعندما تجتمع الشجاعة الهادئة مع سرعة الإدراك فى أعماق قائد منقضى .. تكون العبقرية العسكرية .

### رأى ويفل

عندما كنت أحاول أن أحدد لنفسى الصفات الجوهرية للقيادة العليا ، رددت البصر الى التاريخ لأعرف كيف كان تقدير المؤهلات فى الماضى وقرأت عددا من الموضوعات التى كتبها الثقة عن السجاييا

العسكرية والفضائل الأخرى التي تعتبر ضرورية للقائد ، وجدت صورة وصفية واحدة بلغت الغاية ، هذه الصورة وصفتها رجل حكيم ، هو سقراط ، وقد جاء فيها :

« يجب على القائد ان يوفر لجنده المؤن ، وما عداها من أنواع العتاد الذي يحتاجونه للحرب ، كما يجب ان يكون واسع التصویر لوسع الخطط مع قدرة عملية ونشاط للقيام بتنفيذها ، يجب ان يكون قوى الملاحظة ذكيا ، شفوفا وقاسيا صريحا ومجاملا ، فيه دهاء اللص ويقظة الحارس ، مسرفا وبخيلا ، كريم العفو وقاسيا لا تلين قناته ، كل هذه الصفات وغيرها سواء اكانت طبيعية أم مكتسبة يجب ان تتوفر في القائد كما يجب - كشيء عادي طبيعي - ان يلم الماما تاما بصناعته فلا يمكن ان يكون الفوغاء غير النظاميين جيشا ، كما لا يمكن ان تسمى مجموعة ركام مواد البناء منزلا مشيدا » .

ولكن هذا التعريف لم يوجه الاهتمام لأولى الصفات التي يجب ان يتصف بها القائد ، وهي « المتانة » : القدرة على تحمل صدمات الحرب .

وقد كان رجال المدفعية يختبرون متانة المدافع ، بالقاء المدفع من ارتفاع مائة قدم فاذا استمر صالحا للعمل تقرر قبوله ، ذلك لان المدافع الجبلية عرضة للسقوط من قمم التلال ولهذا يجب ان تكون صالحة بعد مثل هذا الحادث ، كذلك كانت الأسلحة الآلية الصغيرة تطمر في الأوحال لمدة ثمانى وأربعين ساعة قبل ان تختبر لتقدير درجة كفايتها للنيران السريعة .

وعقل القائد لا يطمر لمدة ٨ ساعة فقط بل أياما وأسابيع في أوحال المعلومات غير الوثيقة ورمال العوامل المجهولة ، ويتلقى القائد الصدمات من تحركات مفاجئة للعدو أو حوادث غير متوقعة أو تبادل مخادع ، قلما يحدث مثلها للمدفع ، حين يقع من ارتفاع مائة قدم .

وعندما تقرأوا التاريخ الحربي ، لاحظوا الفشل الذي نتج عن الافتقار الى صفة « الصلابة » .

### الصحة والشباب ..

القائد الجيد كالجواد الأصيل ، يستطيع العدو على أي أرض وبكل طريقة ، والشجاعة البدنية ليست عاملا ضروريا فحسب ولكنها حيوية ، ويجب أن يتصف القائد بالشجاعة الطبيعية والمعنوية . وهي أكبر هبة تمنحها الطبيعة لقائد .

ان القائد الشاب النابه افضل من القائد الشيخ المحنك .  
وهناك صفة أخرى هي التي تميز بين القائد الجيد والقائد العادي وهي :

### روح المخاطرة

وقد قال نابليون : لو خلا فن الحرب من المخاطرة لكان المجد في تناول المواهب العادية . وكان نابليون لا يعين الا « الضابط الشجاع » في مناصب القيادة ، فكان يسأل : هل هذا القائد موفق ؟ وهو يقصد ان يسأل : هل كان شجاعا ! .

ان القائد الذي يسمح للتعليمات والنظم الموضوعة في كتب التعليم ان تحد من نشاطه هو قائد لا يصلح لان يربح معركة .

### التعليمات الجديدة

ان دراسات القائد يجب ان تستند الى ادراك عام Genral Knowledge ومعرفة بالشئون العامة كما يجب ان تتناول استخدام القوات الجوية والمدرمات والمدفعية والرادار ، يجب ان يتفهم القائد استعمال الغاز والدخان في الهجوم والدفاع ، وان يعرف شيئا عن الاسلحة يكفي لتمكينه من استخدامه في المواصلات ، وان يلم بأشياء في فن التمويه وموضوع الدعاية ، وان يدرك تطورات استحكامات الميدان ، وان يكون على بينة من كل جديد من مطالب الحرب الحديثة .



## القائد وجنوده

هناك قاعدتان لابد من تنفيذهما :

● القاعدة الأولى : احذر ان تتولى بنفسك أعمال معاونيك .

● القاعدة الثانية : احذر ان تجعل اركانحربك يقفون بينك

وبين الجنود .

ومن الأفضل أن يمضى القائد وقته مع ضباطه وجنوده .. من أن يقضى معظمه فى مكتبه .

يجب أن يعرف القائد مزايا قواده الأصاغر . من يستحق الثقة ومن يحتاج للتوجيه والمراقبة ، من يحتاج لشارة خفيفة ومن يحتاج لأوامر مفصلة .

أما فيما يتعلق بصلة القائد بجنوده فلكل تفكيره الخاص ، فالضابط الفرنسى عندما يحدث رجاله يقول لهم «يا أولادى» ويحدثهم من مجد فرنسا وتراثها القومى والضابط الانجليزى يخاطب رجاله بقوله « ايها الرجال » والروسى يقول « ايها الرفاق » والألمانى بصيح « ايها الزملاء الأريون » ! .

ومهما اختلفت الوسائل فهناك مسألة أساسية وهى :

ما الذى يدفع الجندى ليخاطر بحياته ، بكل شجاعة ؟

وما هو نصيب القائد فى تنمية البسالة فى الجندى ؟

ليس هناك كائن من كان يحب الموت ، فما الذى يدفع الجندى لمواجهة الموت

هل هو يأمل فى الفنيمة والمجد ، أم هو النظام والتقاليد ، أو التفانى فى المبدأ وحب الوطن ، أو الاخلاص لرجل ؟

أما المجد والفنم فلا يصادفان هوى فى قلب الجندى الحديث ، والواقع أنه لا يوجد اليوم الكثير من المجد والفنيمة !

الحق أن الجندي لا يهرب لأنه يحارب في سبيل قضية  
غير عادلة ، ولا يهاجم لأن قضيته عادلة ، ولكنه يفر لأنه أضعف من  
خصمه وينتصر لأنه أقوى أو لأن « قائد يشعره بأنه أقوى من  
خصمه » وكثيرا ما كان التفاني والاخلاص لرجل ملهما في الماضي ؟  
فهل لم يتغير الحال في هذه الحرب الشاملة ؟

إن التقاليد والنظام هما الأصل الحقيقي للمسألة ، ومن واجبات  
القائد أن يرى العدل قائما ، فالجندي لا يعنى بقانون صارم طالما  
يطبق في ظروف عادلة . . وقد كان القائد كراوفورد أثناء التقهقير  
نحو كوروناي عمل بشدة فقال أحد جنوده : كان القائد إذا أمر بجلاء  
جنديين ينقل مئات من الموت ؟ !

### المدفع والزبدة

وبجانب النظام والعدالة توجد أشياء أخرى فيها ترفيه من  
الجندي : راحته الشخصية ، تعيينه ( طعامه ) المنظم . لبسه  
اللائق ، مسكنه الجيد ، علاجه ، سلامته . . نعم ، لابد من المدفع  
والزبدة .

إن هزيمة الجيش الروسي في الحرب العالمية الأولى ترجع  
لنقص في المدفعية أما هزيمة الجيش الألماني فكان سببها نقص  
في الزبدة !

إن القائد يكسب ثقة جنوده إذا كان يهتم بشئونهم ولا شك  
أن الجنود يحترمون القائد الكفاء الذي يعنى بهم .

كانت زيارات الجنرال النبي لموقع جنوده في فلسطين كالريح  
المنعشة ، فيتبادل التحية مع ضباطه ويفتش الجنود ومهماتهم  
وحاجياتهم مشيرا بعينه نحو ما يعجبه أو ما يضايقه وكان طول  
قامته ونشاط روحه وحدة نظره وقوة عباراته وحيوية اشارته . .  
ما جعله يطبع عقول جنوده بطابع شخصيته .

## السلّاح الأول فى المعركة

انى اذكر عبارة قالها الجنرال اراودبيك بمدرسة المشاة الفرنسية وهى :

« الجندى هو السلّاح الأول فى المعركة » .

عندما تدرسون التاريخ الحربى لا تقرأوا ملخصات فى الاستراتيجية او فى مبادئ القتال .. « طالعوا حياة القادة ومذكراتهم واقرأوا احداث التاريخ » .

وليس من المهم ان تعرف ان نابليون قد كسب معركة عام ١٧١٦ بالمهارة فى المناورة على خطوط داخلية او ما يشبهها من العبارات المشهورة ، ولكن الاهم ان تكتشف كيف ان قائدا مجهولا حديث السن بث روحا عالية فى جيش يكاد يموت جوعا ، على وشك الثورة واللبؤس والانحلال ، وجعل منه جيشا يقاتل . وكيف امدّه بالنشاط وبقوة الاندفاع ، وكيف ساد وقاد قادة اكبر منه عمرا أو أكثر تجربة .. فاذا عرفت السر ، تكون قد افدت من التاريخ العسكرى وقيادة الجنود .

ان نابليون لم يحصل على مكانته لأنه درس قواعد الاستراتيجية ، بل لأنه درس دراسة عميقة « الطبيعة البشرية فى الحرب » .

والخلاصة ان العلاقة بين القائد وجنوده ، كثيرة الشبه بالفارس وجواده ، فالجواد يجب ان يراقب ويدرب بطريقة خاصة ، ويشجع أيضا .. الجواد . يعرف مكانة راكبه اذا شعر براحته الخاصة ، زيدرك أيضا اذا كان راكبه جسورا ، او جبانا مترددا ، او صاحب عزيمة .

وقد يوجد القائد الذى يجعل رؤساءه يقدرونه كقائد جيد ، ولكنه لن يستطيع ذلك مع جنوده الا اذا برهن لجميع افراد وحدته انه متصف بجميع سجايا القيادة .



وأخير ، فكبار القادة يتشابهون فى صفة أساسية هى الروح العالية التى لا تقهر ، وقال أحدهم : لا يحدث أن فقد قائد معركة إلا عندما فقد هو نفسه الأمل فى كسبها .  
وقد نصب الرومان تمثالا للقائد الذى أنقذهم فى ساعة من أظلم ساعات روما وكتبوا على التمثال :  
« انه لم يفقد الثقة فى الجمهورية » .

### راى مونتجمرى

ان القيادة العسكرية من الموضوعات المحببة الى نفسى ، وقد كنت خلال الحرب احاول ان اضع افكارى فى بوتقة التجارب ، فوجدت انه لى تقود جيشا يجب عليك بادية ذى بدء ان تكون واسع العلم بالطبيعة البشرية لان هذه هى المادة الأساسية التى ينبغى على كل قائد ان يسير غورها ويصل الى أعماقها .

**فاذا أنت أهملت العامل الانسانى فلن تكون قائدا ناجحا .**

ان الصلة الشخصية بين القائد وجنوده كانت ولا تزال احد العوامل الرئيسية المؤدية الى النصر ، فاذا توفر للقائد الثقة الكاملة بجنوده وتقديرهم ، فليس هناك شىء لا يستطيع ان يناله ، أما اذا اخضع القائد ثقة جنوده به فقد كتب على نفسه الخسران المبين .

ولنبحث الآن الأسس التى تقوم عليها مقدرة فرد على قيادة الآخرين . وقبل ذلك ينبغى ان نعرف ما المقصود بالقيادة .

اننى أقدم لكم تعريف القيادة بأنها ، التصميم على العمل بالروح التى توحى بثقة الآخرين . . وانا ارى ان قياس مقدرة الشخص على القيادة يعرف بعاملين :

الأول : التصميم على مواجهة الرجال والحوادث التى تحيط به . والقدرة على تجميع نفسه ورجاله بأقصى قواهم الى غرض محدد . دون أن يحوله شىء عن هدفه .

الثانى : قوة خلقه وشخصيته التى تجعل رجاله يضعون ثقتهم فيه ، ومقدرته على قيادتهم للنصر .

وقد كان-هناك كثيرون ذوى قدرة عظيمة على كسب ثقة رجالهم . وانى اختار منهم ثلاثة تاريخيين ، لنرى كيف استطاع هؤلاء أن يكونوا قادة ، وكيف قادوا رجالهم ، ولماذا نجحوا أو اخفقوا !

### موسى .

وسأبدأ « بموسى » .

كان موسى قد فات سن الشباب عندما دعى لسوق بنى اسرائيل من ارض مصر فكانت مهمته ضخمة ، اذ كانوا مستضعفين فى مصر مدى اربعة قرون ! وعلى الرغم من أن الجو لم يكن مناسباً لهم الا أنهم فضلوا الإقامة حيث العيش الرغيد فى الدلتا ، ولم يقدموا على ترك هذه الأرض الطيبة لأن الصحراء كانت تحيط بهم . . . ولهذا كانت مهمة موسى جد عسيرة فى حمل القوم على مباحرة مصر الى الصحراء الجذباء حيث يعيشون فى كنف المشقة والعناء ، الأمر الذى يدل على انه كان قائداً فذا ورائداً مطاعاً .

وليس هناك شك أن موسى كان قديراً ، فقد ساق بنى اسرائيل من مصر وهم فى حالة ميثوس منها من ناحية الصلاحية للحرب . اذ كانوا اذلاء متدمرين فشرع فى تهذيبهم وتدريبهم .

ويسدو أن موسى قضى ببقاء بنى اسرائيل اربعين عاماً فى الصحراء . قاصداً بهذا أن يمرنهم على احتمال المشقة ، وفى هذه السنوات الأربعين استطاع أن يؤهلهم للقتال ، حتى إذا وصلوا الى مرتبة عالية كان لهم أن يفزوا أرضاً جديدة ، ويمتعوا بخيراتها .

وكان موسى قاضياً حكيماً ، فيما كان يصح وما لا يصح من افعال اسرائيل وكان لديه رقم قياسى فى النجاح العسكرى ، ونظرة عميقة فى الطبيعة البشرية تؤهله لكسب ثقة جنوده وخاصة بأن

يُحرق لهم النصر وفي الحقيقة ان خير وسيلة تجعل الجنود تؤمن بقائدها هي : « النصر » .

### كروميل :

اما القائد الثاني الذي اخترته فهو « كروميل » .

وهو الآخر دخل معمران الحرب قائدا بعد ان جاوز الاربعين من عمره ، وبدأ قيادة رجاله في الحرب الاهلية على رأس ستين جنديا ، وبهذه القوة حارب في « ادج هل » وعلى الرغم من تفوق البرلمانيين في الرجال والبنادق فقد رأى كروميل ان هذا التفوق لا يكون مجديا بغير عنصر اصيل : « القائد » .

وقد شرع كروميل في اعداد رجاله على هدى مبادئه الخاصة ، وهي روح القتال العالية ، الضبط والربط ، والتدريب التكتيكي الكبير . . وايضا ثقة الجنود التامة في قائدهم . . وقد عمل كروميل بروح جبارة - تمثل بها رجاله - وكانت له ثقة عجيبة بقدرته على الفوز .

لقد وضع كروميل برنامجا لاعداد رجاله كما وضع المبادئ اللازمة للفوز في الحرب وعنى بالروح المعنوية ، روح القتال والتصميم على النصر . وبهذه الروح قاد كروميل فرسانه الستين وهو كابتن في اكتوبر ١٦٤٢ في معركة « ادج هل » وبعد عام أصبح لفتنانت جنرال نائبا للقائد العام لجيش ورشستر ~~جيش~~ الولايات الشرقية - وكان يتولى قيادة الفرسان ، ثم أصبح القائد غير منازع لقوات البرلمان .

وقد عرف عن كروميل انه شديد الحساسية عصبى المزاج ، يحب الضبط والربط الشديد والتدريب العنيف وكان له ايمان عميق بصحة اهدافه ، وثقة بمقدرته على النصر . وقد كان النصر حليفه دائما ، فلم يعرف الهزيمة قط .



وعندما يكون القائد على أهداف حقة ، وعندما يعطى جنوده النصر فلا شيء يستطيع أن يعترض طريقه .

ومن الطريف أن نجاح كرمويل في ميدان الحرب لم يلق نظيره في منصة الحكم . عندما دانت له بريطانيا فقد جرب أربعة أنواع من الحكومات ، وهو الحاكم المطلق ، فلم تلق أحداها نجاحا ، فأصبح دكتاتورا أكثر من الملك الذي أعدم لدكتاتوريته ! ولهذا فقد انتضى نظام كرمويل بموته وعاديت بريطانيا إلى الملكية والبرلمان .

### نابليون :

أما القائد الثالث الذي أريد أن أتحدث عنه فهو نابليون .  
قائد تسيطر عليه الأنانية وتوجهه المطامع الشخصية !

وعلى عكس القائدين السابقين كان نابليون جنديا بحكم المهنة فتدرب في فاتحة شبابه على الجندية وكان مرموقا في صباه تبدو عليه علامات القيادة ، وكان يريد أن يحرك الأولاد عند اللعب ويقودهم ، وقد وصل سريعا في سن مبكرة إلى أعلى درجات القيادة ، فقاد جيشا كاملا إلى إيطاليا وهو في السادسة والعشرين من عمره . . جيشا أقل عددا وعتادا مما يملك خصومه ، ولم يمض عام حتى أحرز نصرا لامعا في شمال إيطاليا وأتم إخضاع أعدائه .

لقد بدأ نابليون عند توليه قيادة جيشه يدمج ضباطه وجنوده في « جوه » ويسيطر عليه ويجتذب كامل ثقتهم وإيمانهم به . . . أنه ثقة بونابرت بنفسه كانت خميرة الثقة العالية التي أولاها إياه جنوده .

وبجانب هذه الثقة العظمى بالنفس كان نابليون يفوص بأفكاره في شئون الحرب فيخرج بالمبادئ التي ينبغي توفرها لأحراز

النصر .. كانت لديه قدرة خارقة على تبسيط المشكلات وإدراك سريع للنقط الهامة ، فاذا تم له الوقوف على عناصر الموضوع ، واذا ملأ جنوده بالثقة فيه ، واذا جعل الروح المعنوية عالية .. فانه لم يكن يعرف الاخفاق .. ولا يعرف المستحيل !

لقد كان نابليون سياسيا بمثل ما كان جنديا ، وكان له ولع بالدبلوماسية ومرونة ، ولكنه لم يستطع كبح شهواته فى الفوز وميله الى السيطرة فطغت هذه على مقدراته الحربية وانتهت به الى مأساة بل الى كارثة ، فى موسكو .

والآن ترى ماذا اتفق عليه هؤلاء الثلاثة الكبار : موسى وكرمويل ونابليون ؟ ان الميزة الكبرى لثلاثتهم هى : **ايمان الجنود بالقائد ، وثقة القائد بنفسه وأهدافه** . ترى من أين لقائد هذه الثقة العظمى والمقدرة على تحقيق هدفه فى الحرب ؟ .

أظن ان ذلك راجع لمقدرته على تبسيط الموقف ودراسة لوازمه ، وكيفية تحقيق هذه اللوازم المؤدية الى النصر .

اى ان لديه عقلا يعرف به حاجته ، وعزما يحقق به هذه الحاجة .

اذن ، فالمقدرة على تقدير الموقف وتبسيط مشكلاته عامل أساسى فى فن القيادة .

وكل من هؤلاء القادة الثلاثة كان على خبرة باذكاء روح القتال العالية فى جنوده وبعث حماسهم وتركيز أفكارهم فى النصر . وهى مقدرة ترجع الى فهم العامل البشرى وتأتى من الدراسة المتوالية والاتصال الوثيق بالجنود .

فالقائد المحتك حقا هو الذى يسبر غور جنوده ويكون على علم بالشعور والعواطف التى تؤثر فى نفوسهم .. كما كان كل منهم يعرف عواطف جنوده وأفكارهم ومطالبهم .

**ان القائد الذى لا يهتم بالناحية الانسانية هو قائد فاشل .**

ولا يمكن لرجل ان يقود آخرين دون ان يتفهم مشاعرهم وعواطفهم ونفسياتهم ولا يستطيع قائد مهما كان عظيم الشأن ان يثبت فى قيادته ما لم يحرز النصر ، اذ ليس ثمة خير فى قائد لا ينتصر ، اذ سرعان ما يتقلص نفوذه وتهبط اسهمه بين جنوده ، وفى هذا يقول ونستون تشرشل فى دراساته الرائعة للقائد الأشهر مالبورو .

( ان نجاح القائد لا يتأتى من القواعد او النماذج السابقة انما يأتى من التجديد الذى توجبه الحقائق الجلية فى الموقف ومن طريقة ادارة القوات فى القتال ، فكل عملية كبرى فى الحرب نسيج وحدها ، والمطلوب هو تقدير صحيح لكل موقف . . ان الخطأ المشين حقا هو ان يجرى القائد فى معركة على وتيرة قائد آخر فى معركة سابقة ، ويتمثل بما فعله فى زمن مضى وظروف لا رجعة لها ) .

وهذا موقف يطرأ على القائد يجب ان يعتبره شيئا جديدا يحتاج الى خطط جديدة ولا يجدى فيه التقليد ، ولو كان تقليدا عن أشهر القادة بلا استثناء .

ويكفى ان ننظر الى قائمة الحرب العالمية الثانية والثقة العمياء التى وضعت فى خط ماجينو - وكانت النتيجة اخفاقا تاما - ذلك لأن المسئولين وقفوا عند نقطة معينة بينما فن الحرب يجرى ويقفز . . فلم تعد التجصينات تصلح الا للماضى الذى لا يعود . . أما القوات الميكانيكية والتقدم الصناعى فلا يستطيع ماجينو ان يقف فى سبيلها .

لكى يكسب القائد معركة لا بد له من وسائل وصفات أرى فى مقدمتها :

● تفهم أصول الحرب .

● الوقوف على عوامل النصر الحربى .

● الشجاعة والصلابة .

● التقدير السليم .

القائد الجيد :

١ - هو الذى يعرف أولا : ماذا يريد . . يجب ان يرى غرضه واضحا وان يحشد لغرضه كل قواه .

٢ - وهو الذى يجعل رجاله يعيشون فى جو المعركة فاهمين لما يدور فيها متنبهين لكل ما هو مطلوب منهم .

٣ - وهو الذى يتيح لمعاونيه ورجاله معرفة المعلومات بقدر المستطاع أولا بأول .

٤ - وهو الذى يرفض المركزية ويجعل رجاله يعملون فى التفصيلات ولا يدع لنفسه غير التوجيهات العامة .

٥ - وهو الذى يحسن اختيار معاونيه ويجيد توجيههم بمجهود يسير .

٦ - وهو الذى يبقى فى خط النار حتى يتم النصر .

٧ - وهو الذى يتمتع فى فهم اخلاق جنوده والشؤون والعواطف التى تؤثر فيهم .

٨ - وهو الذى يعنى بالروح المعنوية ، والضبط والربط ، والاحترام الشخصى وثقة الجنود به وبأسلحتهم وهدفهم .

٩ - وهو الذى يقود جنوده بروح قائد الفريق فيعملون متأخين لاحراز النصر المبين .

١٠ - وهو الذى يستطيع وضع رجاله كل فيما يليق له اى بوضع الرجل المناسب فى المكان المناسب فى الوقت المناسب .



وأخيراً يقول مونتهجمري كلمة حكيمة للقادة « الذين يفخرون  
بشهاداتهم » :

« لا يوجد كتاب ولا نصوص موضوعة يستطيع بها القائد أن  
يحرز ثقة جنوده وتقديرهم ولكن المرجع الأساسي هو : شخصية  
القائد » .

يجب أن يعرفوه جيداً ويقدروه قدره ويرويه مختصراً ! . .  
فان الجنود . . كل الجنود ، يحبون السير وراء قائد منتصر .

**مشاهير القادة**

في شتى العصور

ومتعدد الأقطار

# تحتسب الثالث

«نابليون الشرق القديم»

لقد عرفت مصر أصول القيادة قبل أن تشرق شمس الحضارة والمدنية على غيرها من الدول والممالك ، وكان لها عديد من القادة العظام في جميع الأزمان ، ولم يكن الانتصار في الحرب وحده هو مبعث الفخر ومرجع الشهرة وإنما كان لقادة مصر الأقدمين فضل الابتكار والسبق في تنظيم الجيوش وتنسيق الأسلحة واعداد الرجال وتدريب القوات ووضع الخطط واحراز النصر .. فضلا عما احتوته الآثار المصرية القديمة من دلائل التفوق في فهم مبادئ الحرب ووضع تقاليد الجندية التي عرفت فيما بعد وعزيت للآخرين .

ان من يدرس تاريخ مصر القديمة يقف على امجاد عظيمة في جميع شئون الحرب مما يستوجب عناية المسؤولين واهتمام العسكريين ، كما انه يقف امام حشد من القادة الذين كانت لهم مزايا وصفات باهرة ، وغزوات ومعارك رائعة ، وتنظيمات وخطط باهرة .

ولقد حدثني أستاذ الجيل في تاريخ « مصر القديمة » المرحوم الدكتور سليم حسن عن هؤلاء القادة وفنونهم ومعاركهم وآثارهم مما شوقني الى المزيد من المعرفة والبحث والدراسة والمقارنة ، فلما أردت أن اتخير قائدا مثاليا أضعه كنموذج للقائد المصري ، وجدت أكثر من واحد ، ثم وافقني على اختيار تحتمس الثالث ، الذي يلقبه مؤرخو الغرب بحق « نابليون الشرق » .

### بطل الاستقلال :

ومما يذكر بالتمجيد والفخار - وخاصة بالنسبة للظروف التاريخية التي تمر بها مصر الآن - أن تحتمس الثالث هو الذي أتم العمل العظيم الذي تحررت به مصر من نير الاستعمار ، فإذا كان أحمس الأول قد أجلى الهكسوس عن البلاد وأسس أول امبراطورية مصرية . . فان تحتمس الثالث هو الذي مد سلطاتها وثبت دعائمها وحررها من التهديد الأجنبي وجعل منها أعظم امبراطورية في زمانه تمتد من أعالي دجلة والفرات شمالا الى الشلال الرابع جنوبا .

لقد ناءت مصر بأعباء الاستعمار الهكسوسي وتلظت بناره ، وأخذ شعبها الأبي يكافح ويناضل للتخلص من الاحتلال الأجنبي حتى استطاع أحمس الأول أن يدهم الهكسوس ويذيبهم كأس الهزيمة ويدفع بهم بعيدا عن حياض الوطن ولكن بقي شبح الغزو قائما ومصدر الخطر باقيا حتى ولى الأمر تحتمس الثالث ، وكان - كقائد موهوب - يعلم أن درء الخطر إنما يكون بالقضاء على مصدره ، وأن الدفاع عن الوطن لا يكون عند الحدود ، بل خارجا عنها . ولهذا حرك قواته المدربة المنظمة الى حرب لاهوادة فيها ، واستخدم فيه الحربى وخبرة قواده وبسالة قواته فى ضرب العدو والاجهاز عليه وتحرير الوطن من ربة الخوف والتهديد ، فلما تم له ذلك توطدت اركان الامبراطورية المصرية وعز شأنها .



## قائد وجيش :

لقد حكم الملك تحتمس الثالث ٥٤ سنة من سنة ١٥٠٤ - ١٤٥٠ ق.م وقد بدأت هذه الفترة بحكم الملكة حتشبسوت الفعلى طيلة إحدى وعشرين سنة خالية من الحروب والمسكاه ، حافلة بالرخاء وال عمران ؛ فلما ماتت نهض تحتمس - بعد انتظار طويل - يفرغ ما اختزنه من دراسة وخطط وأفكار ، وألقى أمامه بلادا عامرة زاهرة وجيشا عرمرما مدربا ، وعدوا يتربص بها الدوائر ويشعل نار الفتنة والحقد على حدود البلاد . فلم تمض أسابيع على توليته العرش حتى قاد ذلك الجيش الكبير الى ساحات القتال فى سلسلة من الحملات لتأمين حدود الامبراطورية المصرية وتخليصها من شبح التهديد والخطر .

وكان الهكسوس - على اثر طردهم من مصر - يقيمون فى الاقطار الآسيوية ، يؤلبون الأجانب ويتحينون الفرصة للعودة الى فزوة جديدة ، فأعلنت سوريا العصيان وتجمع الأعداء فى حلف كبير بقيادة ملك قادش ( ١٠٠ ميل شمال دمشق ) فلم تكن مندوحة من أن ينهض فرعون مصر لتأديب العصاة ودفع ذلك الخطر . . وبدأت سلسلة من المعارك الكبرى لتأمين حدود مصر وتثبيت دعائم امبراطوريتها وصيانة استقلالها .

## الى الحرب :

وضع تحتمس خطته لغزو سوريا والقضاء على أعدائه فى آسيا ، ومن حسن الحظ أن هذه الخطط والمعارك قد سجلت بأغلب تفصيلاتها وبقيت الى يومنا هذا شاهدة بمجد الفراعنة ورسوخ قدمهم فى الفن الحربى ، وقد جرت العادة عندهم بتدوين « يوميات القتال » فبقيت حتى اليوم خالدة الاثر ، كذلك التسجيلات الرائعة التى ازدانت بها جدران معابد الكرنك وهى توضح سير حملة تحتمس ، وتجعل من « مجدو » موقعة كبرى

من وقائع التاريخ الفاصلة لما دار فيها من ضروب القتال ، وما انتهت اليه من عظيم النتائج .

وهذه الحروب تدل على بعد نظر في « الاستراتيجية » التي وضعت على أساس أن الدفاع يجب أن يكون بعيدا عن الفرض الى جانب الترتيبات الادارية التي جعلت غزو الاقاليم الشمالية ممكنا ، فاستطاع الفرعون ان يمضى الى قهر خصومه وتأخير امبراطوريته ، وتحرير شعبه من خطر التهديد .

بدأت الحملة من قاعدة « القنطرة » - وكانت تسمى في القديم « سيلة » - يوم ١٦ أبريل ١٤٧٩ ق.م فتحركت القوات عبر الصحراء الشرقية الى فلسطين ، فوصلت « غزة » بعد مسيرة عشرة أيام قطعت فيها مائة وخمسة وعشرين ميلا ، اي بنسبة اثني عشر ميلا ونصف ميل في اليوم ، وهذا رقم يستلفت النظر ، وخاصة في بقاع صحراوية ، ولقوات اغلبها مشاة . . . مع هذا فقد وصل الجيش الى غزة في المساء ولم يمكث بها بل بارحها في الصباح الى « يما » قاطعا ثمانين ميلا اخرى حيث بدأت الترتيبات والتنظيمات لدخول المعركة .

### مجلس الحرب :

وفي « يما » استقر المقام - كما قدمنا - وعسكرت القوات استعدادا للمعركة وللمرة الاولى في التاريخ عقد تحتضن الثالث اول مجلس حربي لاستشارة قواده في وضع تفاصيل الخطة ، وقد وجد « محضر الاجتماع » منقوشا على الآثار القديمة ، وهذا بعض ما جاء فيه :

( ان ذلك العدو الخاسيء ، صاحب « قادش » قد جاء بجيشه ونصب خيامه فيها ، وهو يقيم بها في تلك الآونة ، وقد ضم اليه كل افراد الاقاليم الذين كانوا يدينون بخضوعهم لمصر حتى نهر الفرات ، ومعه السوريون وقوم قودة بخيلهم وجنودهم وعشيرتهم ،

وأنه يقول حسب ماوصل الى مسامعنا « ساقف هنا لمحاربة جلالته فى بلدة مجدو » فحدثونى مايدور بخلدكم فى هذا الطلب ، فأجابوا جلالته قائلين : « كيف يتسنى للمرء أن يسير فى هذا المضيق ، وقد وصلتنا الأخبار بأن العدو على تمام الاستعداد هناك فى خارج المدينة . وأن عددهم هائل . وهل سيكون السير مستطاعا الا اذا سار الجواد خلف الجواد ، والجنسدى خلف الجنسدى وهل ستكون مقدمة الجيش بهذه الطريقة فى ساحات القتال فى حين أن المؤخرة تكون لاتزال واقفة فى عرونة عاجزة عن محاربة العدو

كما أنه يوجد طريقان أخريان ، واحدة منهما تؤدى الى « تاعناخ » والأخرى تتجه شمال « زفتى » مؤدية الى شمال « مجدو » وبذلك لاتضطر الى سلوك هذا المسلك الوعر .

فأجاب الملك قائلا :

« اننى مادمت حيا ومادام الاله رع يحببنى ومادام والدى آمون يرعانى ، وما دام نفس الحياة ينعشنى بالحياة والقوة فلن اسلك الا هذه الطريق المؤدية الى عرونة ! » .

لقد اختار تحتمس الطريق الوعر . . أقسى الطرق الثلاثة ، على غير ما يتوقع العدو ، وهنا يبرز مبدأ « المفاجأة » فى خطته ، ثم أصدر منشورا « أمر يومى » أنه استقر رايه على قيادة جيشه بنفسه وأنه سيكون على رأس جيشه فى المقدمة .

وهنا يبرز المثل الأعلى الذى يقدمه القائد لجنوده بأن يشاركهم أعباء القتال وأن يواجه معهم الأخطار .

وصف المعركة :

عندما أخذ القائد المبتكر يعمل فكره فى تقدير الموقف وجد ثلاثة طرق مفتوحة أمامه ، وقدر أن العدو يرتقب تقدمه على أحد طريقين دون الثالث ، وهو أصعبها وأشدّها وعورة ، فاختار هو

ذلك الطريق الوعر الذى لا يتوقعه العدو ، عرونة الى « مجدو »  
بقصد المفاجأة . وقد تم له عبور الممر الضيق وما صادفه من  
مرتفعات وعقبات حتى اذا انتهى منه اخذ ينشر قواته ويجري  
ترتيبات الوقاية والأمن والملاحظة !.. بينما كان العدو يرقب  
الطرق الأخرى ويحشد قواته أمامها .. ولهذا كانت الصدمة  
الأولى قوية أطاحت بمعنويات العدو ومادياته فى وادى « قنا »  
حتى لم تستطع تلك القوات المغلوبة على أمرها أن تثبت أو تقاوم  
أو تأخذ فى هجوم مضاد ، وذلك بسبب الضربات المدمرة التى  
حلت بها ولما انتشر فى صفوف المهزومين من فزع واضطراب .

وكان تحتبس قد نظم قواته للمعركة بأن جعل للجيش قلبا  
وجناحين . وأرسل أمام الجيش مقدمة دفع منها وحدات  
استكشافية ، كأحدث تعاليم الحرب الحديثة وقد حقق فى هذه  
المعركة ثلاثة مبادئ هامة : المفاجأة ، والوقاية ، والقتال الهجومي .

وقد وجد الأثريون أثر هذه المعركة التاريخية . وقد جاء  
فيه :

كان الجناح الأيسر مرتكزا على ربوة جنوب « قنا » والجناح  
الأيمن معسكرا فى شمال غرب « مجدو » ، وكان جلالته فى  
وسطهما يحميه الإله آمون فى حومة الوقى . وكانت قوة بأس  
الإله « ست » - إله الحرب - تدب فى أعضائه . ففاز فوزا مبينا  
وهو على رأس جيشه ، وقد راوا جلالته والنصر حليفه ولذلك  
ولوا الأدبار نحو « مجدو » بوجوه يغمرها الدعر والهلع تاركين  
خيولهم وعرباتهم .. وسقط منهم على الأرض أكداش من القتلى ثم  
دخلوا « مجدو » .. الخ .

وانتقل ميدان المعركة الى « مجدو » التى حاصرها تحتبس  
الثالث سبعة أشهر استسلمت بعدها صاغرة وأقسم الأمراء على  
الابعودوا الى العصيان مرة أخرى .



## تحتمس « صياد الآسيويين » :

ومن هذه المعركة تتضح شخصية القائد ، فهو عند وضع خطته قرر أن يفاجئ العدو ، فاختار أصعب طريق ومشله فعل عظماء القادة فيما بعد ، فهانيبال عبر الألب ، ونابليون ، وأيضا مونتيجمري اختار أقوى النقط في خط دفاع المحور عند العلمين وركز هجومه عليها .. كما أن خطة تحتمس انطوت على المفامرة ، التي اعتبرها نابليون من خصائص الجندي الكبير فقال « لو خلا فن الحرب من المخاطرة ، لأصبح المجد في متناول الأشخاص العاديين » .

كذلك تتضح شخصية تحتمس القائد من تصرفه مع الأعداء المهزومين ، فهو لم يأمر بقتلهم أو التنكيل بهم ، بل اعتبر المعركة مباراة ، تقتضى الرحمة بالهزوم . وكان بذلك عنوانا لشعبه الذي وصفه الأثرى Wigal بأنه أعظم شعوب العالم القديمة رحمة وإنسانية .

وقد كان تحتمس رجل حرب وسياسة ، شأن عظماء القادة ، ففكر في مستقبل أكثر أمنا واستقرارا ، بأن نصب أمراء جددا على المقاطعات المغزوة ، ثم أخذ أولاد هؤلاء الأمراء ليتعلموا في مصر ضمانا لاستقامة آبائهم من ناحية ورغبة في إشباعهم بحب مصر وتنشئتهم على الاخلاص لها عندما يصبحون حكاما في المستقبل .

## قوات البر والبحر :

ولم تكن الحروب التي خاضها تحتمس الثالث برية فحسب بل اشتملت حملاته على قوات بحرية أيضا ، وكان أول قائد في العالم يضع خطة مشتركة تتعاون فيها قوات البر والبحر بتوقيت دقيق وتعاون متبادل ، فاستخدم أسطولاً كبيراً للنزول في ساحل فينيقيا متخذاً من ذلك الساحل قاعدة تبدأ منها عملياته

فى بلاد النهرين .. وهى خطة لم يسبقه اليها احد ، وقال عنها  
احد المؤرخين المحدثين ان هذه الخطة لو استخدمت فى حملة  
فلسطين لاستطاع الانجليز دحر الأتراك فى العام الأول من تلك  
الحملة .

### استاذ « النبي » و « مونتجمرى » :

ان معركة « مجدو » قد عادت الى الوجود مرة أخرى بعد  
أربعة آلاف وخمسمائة سنة ، وجرت على ذلك الطريق الذى سار  
عليه تحتس الثالث . فان الجنرال النبي نسج على منواله حين  
كان يدفع الجيش التركى فى بقاع سوريا عام ١٩١٨ حيث هزمهم  
فى نفس المكان لما ألقى بخيالته فى ممر عرونة مستوحيا خطة  
تحتس وتجربة مجدو الأولى فى فاتحة تاريخ الحرب .

كذلك اقتفى أثره المارشال مونتجمرى بعد هذه الآلاف من  
السنين عندما عبر نهر الرين على سفن جىء بها برا من الساحل  
على قرار ما فعله تحتس الثالث فى حملته البرية البحرية على  
سوريا .. والفضل للمتقدم .

### قائد عالمي :

ويقول العلامة استاذ التاريخ المصرى القديم الدكتور سليم  
حسن فى كتابه المشهور « مصر القديمة » ان تحتس الثالث كان  
رجل حرب بطبعه ، وقد دان العالم المتمدين لسنطوته وعز سلطانه  
حتى صار قبل وفاته يسيطر على امبراطورية تمتد من أعالي نهر  
دجلة والفرات شمالا، حتى مدينة نباتا - عند الشلال الرابع -  
جنوبا ، ولم يخف على فطنة تحتس ان يحدد لآخلافه من بعده  
حدود امبراطوريته - مثلما فعل « سونسرت الثالث » عندما وضع  
لوحة الحدود الشهيرة عند « سمنة » .. اذ انه عندما

عبر الفرات أقام لوحة تذكارية في الجهة الغربية من هذا  
النهر لتكون بمثابة آخر نقطة وصلت اليه فتوحه في الشمال  
أما في الجنوب فقد حدد فتوحه أيضا بلوحة من الجرانيت  
أقامها عند جبل « بركال » على مقربة من مدينة نباتا ، وهذه  
النقطة على ما يظهر آخر ما وصل اليه الفتح المصري في كل عصور  
التاريخ القديم . وقد حدثنا فيها هذا الفرعون عن قوة سلطانه  
وما أحرزه من انتصارات على الآسيويين دون أن يشير إشارة  
صريحة الى انتصاراته على بلاد « كوش » ، ولا عجب ، إذا كان  
تحتمس قد تفاضى قصدا عن ذكر انتصاراته على السودانيين -  
فناديا من جرح شعورهم أو التنديد بهم في عقر دارهم . فهل  
ياترى « تيفال » تحتمس الثالث في اللوحة التي أقامها عند  
الفرات عن ذكر انتصاراته على الآسيويين ؟ وإذا كانت الأشياء  
تقاس بأسبابها فقد يكون ذلك غير بعيد على رجل ضرب الرقم  
القياسي على ما يظهر في ميدان الحرب والسياسة معا . . وبين  
هذين الأثريين - أي لوحة الفرات ولوحة جبل بركال - تقع  
إمبراطورية تحتمس الثالث التي دانت له بحد السيف ومضاء  
العزيمة وحسن السياسة .

### اذكروا تحتمس الثالث :

وبعد ، فانه لمن الغريب ان نبحت ونداوم البحث عن عباقرة  
العسكريين من رجال الغرب بينما تاريخنا القديم زاخر بطولات  
فذة وخطط بارعة ومعارك هائلة تقتضى منا دراسة مستفيضة  
لا تكفى فيها أمثال هذه الصفحات ، وقد جاء في كتاب « مصر  
القديم » للدكتور سليم حسن انه لا غرابة في عبقرية تحتمس  
الثالث العسكرية ، فقد نشأ في عصر كله حروب وغزوات وكان  
أجداده ملوك الأسرة الثامنة عشرة قد قضوا معظم حياتهم في  
تساحات القتال شمالا وجنوبا يغزون آسيا مرة ويهدئون الثورات  
في السودان مرة أخرى .

هذا الى ان البلاد من اقصاها الى اقصاها كان لحدث لها غير  
الغزاة الذين استعبدوهم مدة قرن ونصف من الزمان وان بقايا  
هؤلاء الغزاة كانوا لا يزالون يقطنون آسيا وان الخوف كان لا يزال  
عالقا بأذهان المستنيرين منهم على الرغم من امتداد فتوح الفراعنة  
المعظم حتى نهر الفرات .

وقى هذا الجو الذى كان يملؤه رنين السيوف وأهوال الحرب  
نشأ « تحتمس الثالث » وقد أراد والده أن ينشئه تنشئة دينية  
فوضعه فى معبد آمون بالكرنك .

غير أنه على ما يظهر كان الكهنة أنفسهم متشبعين بروح الهم  
الذى كان يعد له الحرب وناصر افراعنة فى ساحة القتال فبثوا  
فى نفسه ذلك الروح الحربى الذى ساد البلاد فى هذا العهد  
ولقنوه دروسا فى البطولة والشجاعة وضربوا له الأمثال بأجداده  
ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، ومن قبلهم ملوك الأسرة الثانية عشرة  
وبخاصة « سونسرت الثالث » الذى كان يعتبر فى نظر الشعب  
المصرى بطل الفتوح المصرية وموقف روح الوطنية والبطولة .

والمعجب العجيب أنك ترى الخطط الحربية المنظمة المحبوكة  
التي تعززها البسالة والاقدام والذكاء الخارق مما لم يسمع به فى  
تاريخ الحروب من قبل ، ومن يطلع على هذا النظام وتلك الخطط  
البارعة التي وضعها ذلك القائد الفذ لا يشك فى أن تحتمس  
الثالث كان يفكر فيها ويدرسها من كل نواحيها ، ولا نزاع فى أن  
معركة « مجدو » أولى انتصاراته ، وما جاء فيها من خطط سديدة  
وحركات فنية كانت أول درس القى على قواد العالم القديم ، بل  
والحديث من فنون الحرب وقيادتها .

أليس هو تحتمس الثالث أول من قسم الجيش الى جناحين  
وقلب ، وأنه هو الذى بجسارته وحبه للمغامرة فى سبيل نيل مآربه  
قد اتخذ أقصر الطرق - مع منافيتها من مخاطرة - لمهاجمة العدو ،  
وأنه هو الذى أراد أن يضرب المثل الأعلى لمجلسه الحربى الذى



عقده - ولا نعلم أن مجلسا حريا أعلى عقد قبل ذلك في العالم -  
فعول على أن يكون أول مضمح بحياته اذا ما دعا داعى الوطنية  
والشرف .

ثم نرى تحتّمس يكشف لنا عن صفحة أخرى من مجده  
ومهارته وشدة ذكائه واحكام خطته فنشاهده يسير بأسطوله  
ويفتح الموانئ التى تقع على شاطئ فينيقيا ليتخذها قاعدة حربية  
لتموين جيوشه التى كانت تفزو قلب آسيا حتى لايطعن من خلفه ،  
وحتى يمكنه أن يضرب ضربته وهو مطمئن ، ويكون أسطوله  
الرابطة بينه وبين مصر من جهة ، وبينه وبين جيوشه - التى كانت  
تسير فى أرض معادية - من جهة أخرى ، وقد امد هذه الموانئ  
بالمواد الأولية والصناع ، وكل مايلزم لجيشه من عتاد ومؤن .

وتظهر عبقرية تحتّمس مرة أخرى فى ابتكار الخطط واعداد  
العدة لنيل مآربه مما جعله على رأس الفاتحين من حيث العبقرية  
والذكاء فقد فكر فى بناء سفن حربية لنقل جيشه عبر نهر الفرات  
حتى يسهل عليه اتمام الفتح ، ولكنه خشى من صنعها فى اراضى  
العدو الذى ربما افسد عليه خطته ، ولذلك بنى سفنه قطعا  
متفرقة ثم ابتكر لها عربات من نوع تجرها الثيران حتى شاطئ  
الفرات ، حيث ركبت اجزاؤها وبذلك نفذت خطته التى كانت  
تسيج. وحدها .

وها نحن اولاء نسمع فى تاريخ الحرب الحديثة أن القواد  
العظام يأخذون دروسا عن قائد مصر ، فيقول دكتور « ولسون »  
ان الجنرال اللورد اللبى سار على هدى خطط تحتّمس الثالث  
فى احراز النصر على الأتراك فى اختراق ممر « عرونا » الذى  
سلكه الفاتح العظيم ويحدثنا المؤرخ « فولكنر » أن المارشال  
مونتجمرى قد نقل السفن الصغيرة من شاطئ البحر محمولة حتى  
نهر الراين ليعبر بها ويباغت العدو . مثلما فعل تحتّمس الثالث  
قبل آلاف السنين .



# الاسكندر المقدوني

القائد الشاب الذى قهر الدنيا وهو فى سن  
الثلاثين

والنجم الذى مازال مضيئا فى سماء الجندية  
منذ آلاف السنين .

والبطل الذى يزهو به شباب العسكريين فى  
كل حين .

ما زال اسم الاسكندر الاكبر مشهورا رغم مرور آلاف  
السنين ، فهو قدوة شباب العسكريين يقرأون فى تاريخه صفحات  
البطولة والمجد وآيات الاقدام واللماحية وسمات العبقرية  
العسكرية .

انه القائد الشاب الذى ولى امر بلاده ، فوجهها الى الصمود  
ثم الى بلوغ المجال الحيوى ثم قادها الى ميادين الفلبة والفتح ،  
فصار سيدا لاكثر من نصف العالم فى ثلاث عشرة سنة ، وقهر  
الفرس - اكبر قوة فى زمانه - وغزا آسيا الى البنجاب .

ولم يكن الاسكندر قائدا فحسب بل كان مصلحا ومنظما يحمل  
راية الإصلاح الى الأقطار المقهورة ، فكسب تقدير أهلها وثقتهم ،  
وقدم اليهم الثقافة اليونانية وسعى الى تزواج الشرق والغرب ،  
ليكون العالم واحدا .

ولد الاسكندر بينما كانت جيوش أبيه ملك مقدونيا تمتد  
قبضتها نحو البلاد المجاورة وتكسب النصر بعد النصر ، واشترك  
والده ووالدته في تنشئته فاختر كل منهما معلما خاصا لتربيته ،  
فاختر له أبوه فيليب : الأستاذ ليزيماكوس ، واختارت له أمه  
أوليمبيا : الأستاذ ليوانيدس ، وهو الذي طبعه بطابع الرجولة  
والخشونة والقصد ، وعوده الاعتماد على النفس والاقتصاد على  
الضرورى والعزوف عن الكماليات والملاذات .

وهكذا نشأ الاسكندر نشأة جادة مستقيمة وعاش عيشة  
الجنود وارتدى ثياب البطولة مبكرا . وقد حدث أن احضر احد  
تجار الجياد للملك فيليب جوادا محجلا من الجياد المشهورة -  
وكان يسمى « بوسيفالوس » - ولم يجسر أحد على ركوب هذا  
الجواد الشاثر الجامح ، فما كان من الاسكندر - وهو فى الثامنة  
عشرة من عمره - إلا أن نهض فأخذ بعنان الجواد وأدار وجهه نحو  
الشمس وقفز الى ظهره ومضى . . ! فلان له العنان وأسلم له  
القياد بين دهشة النظارة وفرحة أبيه الملك الذى قال له :

« يا بنى لا بد لك من ملك أوسع من هذا ، فان مقدونيا  
وحدها أضيق من أن تتسع لهمتك » .

وفى خلال عشرين سنة كان هذا اليافع الشجاع قد غزا  
العالم ، فلما مات حصانه هذا فى الهند أطلق الاسكندر اسمه العزيز  
على مدينة اسميت بوسيفاليا ، على حد رواية المؤرخ اليونانى  
الأشهر بلوتارك .

واستدعى له والده كبير فلاسفة عصره ، واحد الخالدين :  
أرسطو ، فكان له أعظم الأثر فى توجيهه وصقله .



ودخل الاسكندر حومة القتال تحت قيادة والده ضد  
الأتينيين عام ٣٣٨ ق.م - وكان فى الثامنة عشرة من عمره -  
قائدا لفرسان مقدونيا فى معركة شارونيا التى كان له فيها دور  
حاسم ثم عن براعته ومقدرته وتفوقه ، كما أنه عرك شئون الحكم  
فترة طويلة فى غياب والده فعرف الكثير من هذه الشئون ، فلما  
قتل الملك فيليب غيلة فى عام ٣٣٦ ق.م استولى الاسكندر على  
عرش مقدونيا وهوى العشرين ، وقد انعقدت له القيادة العسكرية  
والزعامة الشعبية ، وبدأ بداية موفقة ، فقد كان يقول :

ان التأثير الذى يحدثه الحاكم فى بداية عهده يبقى خالدا  
مدى حياته .

وقد واجهته العقبات ساعة ارتقائه العرش ، فان أعدائه  
استصغروا شأنه ، وظنوا أن الفرصة مواتية لشق عصا الطاعة  
على مقدونيا ، وكاد الاغريق ينكصون على أعقابهم فى فكرة غزو  
فارس ، وأخذت مدن اليونان تنمرد على الحاميات المقدونية .

وسرعان ما أعد الاسكندر عدته واتجه الى المتألبين فدحر  
جيشهم فى معركة بغير دماء . . فقد قطع عليهم خط رجعتهم  
واحاط بهم فاضطروا للتسليم ، وأخضع بقية بلاد الاغريق ، واتخذ  
مجلس كوزنثة قرارا باختياره قائدا عاما لليونانيين فى حملة غزو  
آسيا التى كانت خطة غزوها قد وضعت فى عهد والده .

**ديجونيس :**

وفى مدينة كوزنثة تمت مقابلة تاريخية مشهورة بين  
الاسكندر الفاتح ، والأستاذ ديجونيس الفيلسوف المعلم ، وقد  
اقترب القائد الشاب من الفيلسوف الجالس فى عزلة يصطلى  
بشمع الشمس ، وقال له « هل لى أن أقدم لك خدمة »

قال الفيلسوف « ابتعد ، ودع الشمس » .

وقد كان الاسكندر يقول : « لو لم اكن الاسكندر لوددت ان  
اكون ديجونيس » .

### الى الشرق :

تحركت حملة الاسكندر الى الشرق وعبرت الدردنيل وحطت  
في آسيا عام ٣٣٤ . وكان تعدادها ٣٠ ألف مشاة و ٥ آلاف فارس ،  
وكانت اول معركة له في « جرانيقة » حيث هزم أحد الجيوش  
الفارسية واستولى على مدن الساحل في آسيا الصغرى وبدأ  
يظهر براعته العسكرية في ميدان فسيح تحت سماع التاريخ  
وبصره . وقد رصد المؤرخون مشروعات الاسكندر الاستراتيجية  
وخطته التكتيكية واعتبروه القائد الذي بز الجميع ، وقد اعتبره  
نابليون أعظم القادة الذين احتوتهم قائمته - وهي تضم سبعة  
قواد عظام : الاسكندر ، هانيبال ، يوليوس قيصر ، جوستاف  
أدولف ، تورين ، بونس أوجين ، فردريك الأكبر .

وكان الاسكندر الى جانب براعته العسكرية حكيما لا يحفل  
بالماديات ، ولا يعرف الحياة الا انها جهاد وتضحية وأمل وعلو . .  
فلما أزمع غزو آسيا وزع ضياعه الموروثة على أصدقائه فلمسا  
سأله أحدهم « برديكاس » : الا تستبقى شيئا لنفسك ؟ قال  
الاسكندر : نعم ، استبقيت الأمل ! .

وفي خلال المعارك كان الاسكندر يقف في عربته ، وقد وضع  
الدرع على صدره وريشا أبيض على جانبيه خوذه ، وكان يخوض  
المعمران وسط جنوده فيلتف حوله القادة ينشدون وقايتهم ويطلبون  
اليه الحيلة فلا يابه لذلك ، وكأنه كان يقصد انه لن يموت في  
ميدان المعركة .

### الحرب هي الهجوم :

والآن الى المعركة الكبرى . الى حيث يستعد الملك الأكبر -  
كما كان داريوس ملك الفرس يلقب نفسه ، وهو يحكم العالم ! -

ولم يكن داريوس ملاكا قويا ولا قائدا محنكا ، ولكن جيشه كان أكبر خمس مرات من جيش الاسكندر وكان يحارب في الأودية التي يعرف مسالكها جيدا ، وبهذا كان له التفوق العددي والمبادأة والأرض وروح الدفاع العدائي .. ولكن كان قبائله : المعية الاسكندر وجيشه المنظم .

وكان الاسكندر يفهم الحرب على انها الهجوم بأكثر قوة وفي أسرع وقت ، فما أن التقى بجيوش دارا الثالث في أيوسي حتى بدد شملها وأحرز انتصارا باهرا جعله يتقدم من فوره لمهاجمة « صيدا » ثم « صور » التي قاومت طويلا فاضطر الاسكندر الى تدميرها .

### أرييلا :

ان دخول الاسكندر المقدوني آسيا كان فصلا من فصول التاريخ الخالدة ، بدأت به معاملات أوروبا بآسيا التي استمرت حتى اليوم ، فقد انتزعت أوزوبيا السيادة من آسيا .

وقبل الاسكندر كانت بلاده وأوروبا في تهديد مستمر من اغارات الفرس وهجماتهم وتوغل نفوذهم ، فقلب الاسكندر الآية وفتح الطريق للغربيين الى الشرق .

ولهذا يعتبر المؤرخون معركة أرييلا من المعارك الفاصلة في التاريخ ، وقال عنها نابليون « عبر الاسكندر الفرات ودجلة وخاض معركة أرييلا ، التي فاز فيها على داريوس وحل عقد الامبراطورية الفارسية ، وأخذ مكانها ، ففتحت له عواصم فارس ابوابها ، فدخل بابل وسوسا وباسرجاد ، حيث دفن « كورش العظيم » ثم انعطف شمالا فامتلك شطوط قزوين ، وبلاد الديلم ، واقتص من باسوس الخائن لقتله داريوس ، وغزا هندسان . وأس بوروس ملك البنجاب ، وعاد منها بثمانمائة سفينة » .

وتقع أربيل شرقى نهر دجلة ، بينه وبين جبال كردستان فى سهل شاسع أرضه منبسطة ملائمة لسير العربيات وتحركات الفرسان . وكان داريوس قد اختار المكان والزمان ، ولكن الاسكندر كسب المعركة بمهارته وحسن تنظيمه لقواته .

كان جيش الاسكندر ٤٠ ألف مشاة و ٧ آلاف فرسان مسلحون بالرمح الطويلة ( ١٨ قدم ) والسيوف والنبال والقلاع - أدوات الحرب فى زمانه - وكان جنوده على حشد وصف المؤرخين وتقارير المعارك متفوقة فى مستوى التسليح والتدريب والضبط والربط ، بينما كانت جنود داريوس كثيرة العدد متعددة الأوطان : من أفغانستان و بكتيريا و بخارى و جينوا و كردستان و تركستان و روسيا ، وكانوا يستخدمون الفيلة والعربات .

لقد مضى على هذه المعركة ٢٠٠٠ سنة تقريبا ، ومع هذا فان المدارس الحربية فى العالم مازالت تدرسها وتستشف من خططها فنون الحرب وبراعة القيادة .

### الأوضاع والخطط :

نظم داريوس جيشه على مهل فى مواقع دفاعية على شكل طائر فكان القائد فى جبهة القلب على رأس الرماحة ، ورماة النبال والجنود المحترفين - المرتزقة - وقد وضع أمامه ٥٠ عربة و ١٥ فيلا ، وقد مد جناحيه ، فوضع فى الجناح الأيمن مشاة قوية تتقدمها ٥٠ عربة ، وفى الجناح الأيسر مشاة ثقيلة وفرسان وأمامهم مائة عربة وألف فارس .

أما الاسكندر فقد نظم قواته بطريقة أخرى ويلاحظ انه اهتم بوضع احتياطى خلف جبهة القتال من الفرسان .

وضع الاسكندر فى القلب ست فرق مشاة ، وفى الجناح الأيسر مشاة وخيالة قوية وفى الجناح الأيمن ثمان فرق فرسان ، ومعهم حملة تروس المشاة ، وكان الاسكندر فى الجناح الأيمن !



وقف الخصمان على قدم الاستعداد ، وفى فجر اليوم بدأ الاسكندر هجومه المفاجيء ، فتحرك الجناح الايسر الفارسى نحو الجناح الايسر اليونانى فأسرع الفرسان الى صدهم ، ثم تحركت العربات الفارسية والخيالة فقهرها حملة الحراب وضاعت هذه الهجمة القوية هباء ، واخيرا وقع اكبر هجوم فارسى بالفرسان على جناح اليونان الأيمن ، حيث كان الاسكندر نفسه قصد ذلك الهجوم وحتى ذلك الحين لم تكن جبهة الاسكندر قد تأثرت ، بل كانت تنتظر الفرصة المواتية ، وقد جاءت هذه الفرصة حين فتحت ثغرة فى صفوف الفرس بين المسيرة والقلب ، فاندفع اليها الاسكندر على رأس حرسه واخترق الجبهة الفارسية واحاط بالمسيرة بينما تقدمت المشاة حملة التروس فشغلت قلب الجيش الفارسى . . ونظر دارا فاذا جيشه قد تقطعت اوصاله ونسحقته الهزيمة فأطلق عنان حصانه وفر من الميدان قبل ان يقع فى الاسر ، على حد تعبير الشاعر العربى .

بنفسك فر اذا ماشمت حتفا      وخل الدار تنعى من بناها  
فر دارا رغم ان جيشه كان يقاتل باستبسال ويتبادل مع اعدائه ازمة الموقف بين وقت وآخر ، ولكن فرار القائد ضيع عزيمة الرجال فكانت الهزيمة .

وهكذا انتهت معركة اربىلا ، ونزع الاسكندر صولجان القوة عن هامة آسيا ثم استولى على بابل عاصمة اول امبراطورية فى الدنيا . . وبدأت مرحلة جديدة من التاريخ .

### اخلاق القادة :

أخذ القائد المنتصر يلقي نظرة اخيرة على ميدان المعركة الكبرى التى كسبها وبدأ يلقي أوامره ، فكان فى مقدمتها أن تكون النساء فى مأمن ، وقد رفض الاسكندر ان يقابل زوجة خصمه داريوس

— وكانت أجمل نساء زمانها — بل أمر بإرسالها الى مكانها معززة  
بكرمة .

وانتبه الشاب الظافر الى سوريا ففتحت ابوابها المنيعة ثم  
غزا فلسطين ومصر في اواخر سنة ٣٣٢ ق.م وخلصها من حكم  
الفرس وأعاد لها مكانتها الدينية القديمة واستقدم المهندس  
اليوناني دينوقراط فأنشأ مدينة الاسكندرية ، عروس البحر ،  
وبذلك أثبتت الاسكندر انه رجل اصباح وعمران وأثبت تاريخ  
عشرين قرنا من الزمان بعد نظره . وسيظل اسمه خالدا مع اسم  
الاسكندرية .

وفي مصر زار معبد فرعون ملتمسا العناية الالهية ، واعتبر  
نفسه ابن الاله آمون ثم غادر مصر في عام ٣٣١ ق.م الى صبور  
حيث التقى بجيش دارا في معركة كبرى قرب نينوى وواصل زحفه  
فغزا بابل وسوس وبلغ اقصى حدود الامبراطورية الفارسية .

### فاتح الهند :

بعد ان اخضع الاسكندر فارس اتجه الى تركستان ثم انحدر  
الى طريق هراة وقابل وممر خيبر مقتحما بلاد الهند حيث التحم  
في معركة هائلة مع القائد الهندي « بوروس » وهزمه .

وقد سأل الاسكندر خصمه المهزوم بوروس عما يريد منه ؟  
فقال بوروس : أريد ان تعاملني معاملة الملوك .

فاجابه الاسكندر الى ما اراد ، وتركه ملكا على بلاده .  
وعاد الفاتح الشاب ، والمصلح النابه ففكر في ربط الشرق  
بالغرب عن طريق المزاوجة بين اليونانيين والفارسيين حتى تزوج  
في ليلة واحدة عشرة آلاف فارسي ومقدوني ؟

وقد ذكر الدكتور طه حسين في كتابه « قادة الفكر » ان  
الاسكندر لم يكن قائد جيش ليس غير وانما كان قائد فكر قبل  
كل شيء وفوق كل شيء ، وان تجربته لو تمت لفيرت وجه الارض  
ولحولت سير التاريخ .

# هانيبال

وضع هانيبال خطته لفزو ايطاليا فقالوا انها  
مجازفة ، وجنون ، ومستحيل !.. ولكن هانيبال  
ركب المجازفة واستخدم الجنون وفعل المستحيل  
.. وغزا ايطاليا

كانت روما سيدة العالم في زمانه ، لا تستطيع دولة أن  
تواجه جبروتها ، كان مصير عدواتها الهزيمة تلو الهزيمة حتى  
جاء ذلك القرطاجنى الجسور ، والجندي العبرى فأذاق جيوش  
روما مرارة الهزيمة ورسم على ثرى ايطاليا خطوط احدى المعارك  
التاريخية التى تدرسها المعاهد العسكرية منذ اجيال الى يومنا  
هذا وهى معركة « كانا » .

ان هانيبال هو أحد عظماء القادة فى التاريخ كله ، ويضعه بعض  
المؤرخين والثقة فى رأس القائمة ، وقد جعله نابليون - فى  
فائتمه - ثانى قائد فى التاريخ ، بعد الاسكندر المقدونى ، ولا تخلو

قائمة من قوائم عباقرة القادة من اسمه ، فتجده في قائمة نابليون ،  
وليدل هارت ، وويفل وغيرهم من المعنيين بتاريخ القادة .

ومن العجيب أن هانيبال قد انتهى بهزيمة ماحقة قضت عليه  
وعلى بلاده قرطاجنة ، ومع هذا فقد وضع المؤرخون على رأسه  
تاج العبقرية العسكرية ولم يضعوه على رأس هازمه . . ان سيبيو  
لم ينل واحدا على عشرة من شهرة هانيبال ومجده الحربى .

كان أبوه هملكار جنديا وحاكما بأمره في شمال أفريقيا ،  
وكان لايفتا يرنو ببصره عبر البحر للمتوسط ، ويتمنى لو استطاع  
يوما أن يزرع « تاج » العالم عن هامة روما ويجعله من نصيب  
قرطاجنة . . وقد حدث أن استعد للحرب ، وذهب يؤدى للالهة  
الصلاة والقرايين ، وفجأة لمع في ذهنه خاطر ، فدعا اليه ولده  
هانيبال - وكان طفلا في التاسعة من عمره - وسأله :

أتحب هانيبال أن تأتى معى الى ميدان الحرب ؟

فأجاب الفتى فى هدوء وثقة : نعم .

وارتدى الفتى ثياب الجنود ، واستمع الى رأى أبيه فى روما ،  
وحكامها ، فصب هانيبال لعناته عليها وأقسم أمام أبيه على تحطيم  
أقواتها .

ومنذ تلك اللحظة أصبحت كراهية روما عقيدته ، وأصبح  
هو : أخطر عدو لروما .

ولم تكن قرطاجنة موطن محاربين ، ولكن تجار وبناء سفن  
وملاحين ، فلم تكن الحرب لعبتهم المفضلة ، وكانوا ينظرون الى  
روما كعملاق لا بد من الخضوع له ، ولا سبيل الى النجاة من  
سطوته ، وكان هملكار - والد هانيبال - يعبئهم للحرب ، فنشأ  
هانيبال - فى جو التعبئة والاستعداد للحرب ، وأخذ بطابع  
الجندي مبكرا ، وأقبل على نظمها وتقاليدها بشغف ظاهر ، وأخذ  
يتطلع الى قيادة الجنود وإدارة المعارك . . وهو الشاب القسوى

الرياضى الذى اشتهر بين أقرانه بتفوقه فى العدو والملاكمة وركوب الخيل .

وهكذا نشأ معدا للقيادة منذ صباه ، معنيا بالحرب وإدارة الرجال ، شغوبا بالعناء والمشقة ، فهو يستطيع أن يستغنى عن الأكل والنوم ما دام هناك عمل وجهد وخطر . . فكانت هذه هى عناصر القائد العبقري .

وقد عرف الجنود جيـدا وعاش بين ظهرائهم وهو طفل ، فنشأ مفطورا على حسن المعاملة ودقة الإدارة وحسن التدبير ، وكان ذواقة متمدينا . . وان قال عنه بعض المؤرخين الإيطاليين انه كان قاسيا شرويرا متعطشا للدماء . . ولكن التاريخ قال فيه كلمته الحقـة وجعله فى مصاف عظماء القادة المثقفين ، فقد ترك كتابات تشهد بتذوقه للادب الاغريقى والفلسفة ، وكان له أستاذ من أثينا يعلمه ويصقل عقله وروحه .

وفى الثانية عشرة من عمره رأى القائد الشاب رؤيا العين مصرع والده ، وقائده ، وبعد لحظات كان قائدا للفرسان لمدة ثماني سنوات تحت القيادة العامة التى عقدت لأخيه الأكبر هادسdroial . . الذى لقي مصرعه فى ساحة القتال وسيفه فى يده .

واستقر رأى الجيش القرطاجنى على تولية هانيبال القيادة العامة سنة ٢٢١ ق.م وهو فى الخامسة والعشرين من عمره .

أصبح هانيبال قائد جيش بلاده فنظر نظرة المسئول وأشاح بوجهه ، فقد كان الجيش خليطا من محاربين غير مؤمنين بأهداف الحرب ، فهم مرتزقة ، وليس يسعد القائد الأصيل أن يكون قائدا فحسب وانما أن يكون قائدا لجيش منظم . . فأخذ هانيبال يعمل لتنقية الجيش وتطهيره وتصحيح أدواته ورفع معنوياته ، واستطاع أن يجعل منه جيشا نظاميا مدربا ، وضاعف عدده وأصلح أدواته



وقاده الى غمسات حروب كبرى ، بلا كلل ولا ملل ، فواجه روما ،  
صاحبة الحول والطول ، ورفع راية افريقيا فى قلب اوربا .  
**الحرب ديدنه :**

فما هو سر هانيبال ؟

قال بعض المؤرخين ان هانيبال كان مطبوعا على ماكينة الحرب  
مدموغا بحاسة استراتيجية ، لم يتمتع بها غير عدد قليل من  
القادة فى جميع العصور .

وقالوا انه كان عارفا بالشعور والمواطف التى تعتمل فى  
نفوس الرجال فاستطاع ان يقودهم بنجاح ويفيد من مزاياهم  
ويكسب خير ما عندهم .

ولهذا فقد استطاع ان يقودهم عبر البحار والأنهار والجبال ،  
وان ينفذ خطته الجهنمية ، ويهزم بهم جنرالات روما ذوى  
الفخامة .

وكانت له ملكة تقدير الموقف فى لحظات ، وفهم ما ينتظر ان  
يفعله العدو . . كان يدرس الموقف بروح رئيس فريق الكرة فيعلم  
سلفا ما ينتظر من الفريق الآخر من تكتيكات وتوصيلات وخطط  
للسوط الثانى .

وكان هانيبال اول من « شغل » الجاسوسية ، وكان استاذا  
فى فن الجاسوسية ، يبعث العيون والأذان ترصد تحركات  
القوم وتستطلع أنباء مراكز القيادة ، وكان له اتباع وجواسيس  
فى صفوف أعدائه . . قبل ان يتحدث الجنرال فرنسكو عن  
« الطابور الخامس » بعشرين قرنا من الزمان !

**الحرب علمته :**

ان تدريبه المبكر ، ونشأته فى مقر قيادة والده نشأة  
مسكرية قاسية وتمرسه بشئون الحرب من جميع نواحيها . .  
علمه ذلك كله كف عامل جنوده ويأمرهم ويحركهم ويقودهم الى

المعركة ، كيف يواسى الجريح ويهدىء الثائر ويستحث الخامل ،  
علمه ذلك كله متى يلين ومتى يشتد ، وكيف يحفظ على رجاله  
روحهم المعنوية فى أشد الأزمات ، فهو كان اداريا ومنظما وعالما  
بالنفس وأستاذا فى فن القيادة .. ولهذا تبعه جنوده حيثما  
سار وأطاعوه كلما أشار ، فخاض بهم السهل والوعر والماء  
واليابسة ، وكان كما قال : « لا انظر خلفى مهما يحدث ! »

### لا شيء غير الهجوم

وقد مرسته الشدائد وصهرته المسئوليات الجسام حتى جاء  
وقت معركته الكبرى واختباره النهائى امام روما ، وقد نشبت  
الحرب بين روما وقرطاجنة بسبب غزو القرطاجنيين لمدينة  
« سجنتم » فى شرق اسبانيا ، فوجدت روما فى ذلك خطرا  
على ميزان القوة التى كانت تعز به فبعثت الى غريمتها اندارا  
بالكف عن خصار هذه المدينة ، والا فانها تصبح فى حالة حرب  
معهما ، وبعد ثمانية أشهر من الحصار سلمت سجنتم ودخلها  
هانيبال ، وبدأت الحرب بين روما وقرطاجنة .

وكان رأى هانيبال ان الحرب هى الهجوم ، ولهذا قرر ان  
يبدأ بالهجوم على قوات روما ، فى عقر دارها ، فنظم ثلاثة  
جيوش خصص احدها لحماية افريقيا ، والثانى لحماية اسبانيا ،  
واخذ الجيش الثالث الى اعظم عملية عسكرية فى ذلك الزمان ..  
غزو ايطاليا ، وقهر « روما » .

وقال المؤرخون : ان هذه الخطة كانت المجازفة بعينها ،  
او الجنون ، او المستحيل ، فلم يكن أحد يتصور ان جيشا  
افريقيا يستطيع عبور جبال الالب التى لم يسبق لجيش عبورها ،  
ولكن هانيبال ركب المجازفة واستخدم الجنون وطلب المستحيل  
وغزا ايطاليا .

## افريقى فى ايطاليا :

تحرك الجيش القرطاجنى عبر البرانس ونهر الرون واكتسح الجول ، ووصل الى جبال الالب ، وهنا فتح التساريخ صفحة ناصعة من صفحات المجد الحربى ، وكان عبور هانيبال لجبال الالب حدثا من أعظم الأحداث العسكرية فى جميع العصور .

لقد كان رجال هانيبال من اهل السهول لا المرتفعات ، وكانت احمال المشاة ثقيلة ولم يعتادوا الجـو البارد وكانوا يستخدمون معدات الحرب الثقيلة ، وعددا من الفيلة لحمل الأثقال ... ولا ريب فى ان استخدام الفيلة كان عنصرا هاما للحملة ولكن المشكلة كانت فى كيف تعبر الفيلة الانهار والجبال ؟

واذن فكيف بنى هانيبال « الافريقى » الكبارى وكيف مهد الطريق ، وكيف عبرت الفيلة الماء - وهى بطبيعتها تخافه - وخاضت الشلالات ... لقد كان امام الحملة من المشكلات الادارية ما يفقد الامل فى تقدمها ، كانت هناك مشكلات المواصلات والتموين والجو القارس والطرق غير الممهدة ، والجبال والشلالات والرعد والبرق والصخور .

ولكن المعجزة وليدة العبقريّة ، وقد نجحت حملة هانيبال ، ووصلت قواته الكبيرة سالمة ٢٠ الف مشاة و ٦ آلاف فارس ، وفوجئ الرومان ، فقد وصل الافريقيون الى ارض ايطاليا .

اما هانيبال فاعطى جيشه راحة قصيرة وسرعان ما هب للنضال ، فاحدق بقوة رومانية فى « تيسنو » بفضل خفة الحركة ، فقد كانت معركة فرنسان ، واعقب ذلك تحركه بمشاته نحو « تريبيا » حيث هزم جيشا رومانيا كبيرا بعد مفاجأة بارعة ، وشرع يجتاز جبال الابنين لغزو اثروريا .

وحشدت روما قواتها تحت قياده الفتصل فلامينيوس قرب بحيرة تراسيمنس .. فماذا كانت خطة هانيبال ؟

ترك ثغرة امام مواجهة الجيش الرومانى تتجه نحو البحيرة . وحشد قواته على جانبيها فى مواقع مخفية بعناية ، فلما تقدم الرومان لم يلقوا مقاومة تذكر ، فظنوا انه النصر ، ولكنه كان انقبر ... وهكذا قضى على جيش رومانى كبيسر ، ولم يكن هانيبال قد اظهر خيرا ما عنده .

### كانا :

وبدأت معركة « كانا » التى تعتبر الى اليوم نموذجا لاروع ما اتتجه القرائخ العسكرية فى تقدير الموقف ، واحكام الخطة ، ودقة التنفيذ ، واكتمال النجاح ، وبلوغ الاهداف .

كان الجيش الرومانى اكبر جيش حركته روما وقد بلغ ٧٦ الفا ، بينما لم يبلغ جيش هانيبال نصف هذا العدد ، وانتهت المعركة وانتهت معها حياة ٧٠ الف جندي رومانى ١٩.

فى هذه المعركة التاريخية اتى هانيبال عملا من اعمال عبقريته ، فقد كان للرومان السبق والاختيار والمبادأة ، فصفوا قواتهم فى انسب اماكن للمعركة المرتقبة على ضفاف نهر افيدوس ، وكان هانيبال يحارب وظهره الى النهر ، فلو اصابته هزيمة لانتهد العملية بكارثة ! وسرعان ما اسعفته قريحته وهداه نبوغه الجرى وبراعته الاستراتيجية التى امتاز بها عن جميع القادة المشاهير فى جميع العصور .

وضع هانيبال مشاته فى القلب وجعل الفرسان جناحيه ولكنه ترك امام مواجهة العدو خطا ضعيفا من المشاة بينما جعل الجانبين ذوى كثافة ومنعة ، وبدأت قوات الوسط تهاجم مشاة الرومان الاشداء ، وبدأ الرومان يضغطون بشدة فنجح ضغطهم وأخذوا يهجمون ويتقدمون فى قلب قوات قرطاجنة المهزومة ،

والنصر يرفرف على الرومان والنهاية تقترب بالقوز النهائي .  
وهنا في المكان والزمان المناسبين اعطى هانيبال اشارة الهجوم  
فتدافعت القوات من كل جانب والفي الرومان انفسهم بين شقى  
الرحى ودارت عليهم الدائرة ، وقطع الفرسان القرطاجنيون خط  
رجعتهم واتموا حلقة الحصار وانتهت المعركة بانتصار تاريخي  
تام . واصبح هانيبال سيد الميدان في معظم الاراضى الإيطالية .

وقد سجل التاريخ لهانيبال بعد تلك المعركة مآثرة انسانية  
تدل على تأصل روح الجنودية العميقة في نفسه ، وكان بعض  
المؤرخين الايطاليين يرمونه بالوحشية والفظاعة ، فاذا هو يحيى  
ويكرم قائد العدو الذى لقي مصرعه في المعركة فأمر بتشجيع  
جنازته عسكرياً وودعه مع الاجلال والاحترام . . وهكذا كان  
هانيبال خصماً عنيفاً ولكن خصماً شريفاً ، لا يحارب الا عدواً  
قوياً ، ولا ينازل في غير ميدان .

اما « كانا » فلم تكن نهاية الحرب مع روما ، ولم تكن نهاية  
ما يتطلع اليه هانيبال ، فهو لم يقف عند حد . فقد كانت في  
اعماقه آمال كبار وليس مجرد انتصار هين ، كان يريد غزو روما  
نفسها ووضع قرطاجنة في مكانها : سيدة العالم .

وشرع يشطر ايطاليا ، فبدأ يغزو الجنوب حيث كسب معركة  
تارنتوم . ثم اتجه نحو روما ، وكانت الجيوش الرومانية تنفذ  
خطة جديدة : تجمعت وعقدت قيادتها للقائد فابيوس مكسيموس ،  
وراحت تتدرب على آثار المعارك الغابرة وتتبع خطوات العدو  
دون أن تشترك في معركة حتى تجهد قواته ويطول بها الترحال  
ويصيبها الملل .

وكانت خطة بارعة ، فقد بدأ جنود هانيبال يملون ، ولا  
يعرفون هدف حملتهم وقد تكبدوا المشاق وطال بهم البعد عن  
الاهل والوطن ، وقد نبهه احد معاونيه « مارهرىال » الى خطورة



الموقف : « أنت يا هانيبال تستطيع ان تحرز النصر ولكنك لاتعرف كيف تفيد من انتصاراتك ! »

ثم ماذا كان موقف أصحاب الشأن في قرطاجنة ؟  
انهم يكرهون هانيبال ويخشون من نتائج انتصاراته ظنا منهم انه سيعود يوما فيطردهم ويأخذ بمقاليد الحكم في يده وحده !  
وكانوا يضحكون من انبائه وطلباته ! .

وقد طلب ارسال الامداد والمؤن فرفضوا أية مساعدة ! وقد استطاع أخوه الأصغر هسدروبال ان يسير على رأس قوات من اسبانيا ولكنها هزمت في الطريق قبل ان تصل اليه وقتل هسدروبال ، وارسل الرومان الى هانيبال رأس أخيه ، فكان ذلك ايذانا بمعركة لا رحمة فيها .

#### لماذا ضحك هانيبال :

لقد بقي هانيبال ست عشرة سنة يهدد روما ويحرك قواته على ثرى ايطاليا ثم تغير الموقف وانتقل ميزان القوة من يد الى يد وولى قيادة الجيش الروماني قائد المعنى جديد هو « بيلوبيلوس سيبيو » الذي قدر له ان يدخل من باب التاريخ فقد فكر في هزيمة هانيبال بأسلوب لم يفهمه من قبل ، فترك سيبيو أوربا الى افريقيا وراح يهدد قرطاجنة ، فاضطر هانيبال ان يسارع الى وطنه والتقى بخصمه العنيد في معركة من معارك التاريخ الفاصلة « زاما » ٢٠٢ ق.م .

وفي هذه المعركة كان هانيبال يضع خططا بارعة من وحي عبقريته كما يفعل الفنان في لوحاته الخالدة ، ويضرب ضرباته الاستراتيجية والتكتيكية كأستاذ معلم . ولكن بز التلميذ أستاذه ، واستطاع ان يهزمه ويرديه .. بفضل الكثرة العددية والروح المعنوية ، فقد كان الوهن يتطرق الى القرطاجنيين ، ولم تكن روحهم المعنوية في مستوى قائدهم العبقري ، فكسبت روما المعركة الأخيرة .

وانتصر سيبو على هانيبال !

ولكن هانيبال بقى كنموذج للجندى الاصيل والقائد العبرى .  
ووقف هانيبال فى مجلس الشيوخ يضحك وهم يبتكون ..  
يا لعدالة السماء ، اذ طالما بكى هانيبال اسى على افعالهم فى  
مساعده و كانوا يضحكون !

ان هانيبال لم يهزم ، ولكن « انروساء » هزموا جيوشهم  
وبلدهم .

سأل سيبو غريمه هانيبال ، بعد ان هزمه :

من هو اعظم جندى فى التاريخ ؟

فرد هانيبال : الاسكندر .

وعاد سيبو يسأله : ومن اعظم جندى بعد الاسكندر ؟

قال هانيبال : انا .

وقال سيبو : ان الرجل الذى هزمته هو اعظم قائد عرفه  
العالم .

والحكم ما حكمت به الاعداء .

# خالد بن الوليد

لقد شهدت مائة زحف أو تزيد وما فى بدنى  
موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة .

وهانذا اموت على فراشى كما يموت البعير ، فلا  
نامت اعين الجبناء .

يكثُر كتاب الغرب من التحدث عن قادتهم المشاهير فى جميع  
العصور فيحملون الى جيل بعد جيل مناقب هؤلاء القادة ،  
وخططهم ووقائعهم ، ويجد النشء فى هذه السير الحافلة مثلاً علياً  
يعجب بها وينسج على منوالها ، فيظل النور منبعثاً من الماضى يضيء  
الطريق للسائرين فيه .

وأخذنا نحن عن كتاب الغرب مؤلفاتهم وتراجهم فالفيناها  
حافلة بما يخلب العقول عن هؤلاء القادة الأعلام ، وأكثرنا من قراءة  
تواريخهم ودراسة حملاتهم متأثرين بما يصل الى أيدينا من هذه  
الكتب والمؤلفات الأجنبية .

فترى أحدنا يتلهف على قراءة كتاب عن الاسكندر المقدون  
أو هانيبال القرطاجنى ، وترى آخر ينظر فى شوق الى كتاب اعلم  
عن صدوره يتناول حملات اليونان أو الرومان أو الفرنسيين ،  
وكان التفوق فى الحرب من شأن الغرب وحده ، وكان القساد  
المظام لم ينشأوا الا فى الغرب فحسب !

ولو فطن أبناء العربية الى ما فى تاريخ بلادهم العريق من  
آيات بينات سطرتها سيوف آبائهم ، وبراعة وعبقرية سجلتها أعمال  
قاداتهم لكان خيرا لهم ان يقبلوا على صفحات المجد والفخار الترى  
حفل بها كتاب الأمة العربية ، فاذا هم امام اعظم القادة وابرر  
الخطط وأسمى المبادئ وأرفع الصفات .

وقد يكون لقراء العربية بعض انعذر فى قلة علمهم بحروب  
العرب فقد اعتدنا فى الشرق ان نهتم بما يرد لنا من الغرب ،  
ورأينا الكتب والمؤلفات الأجنبية تفرق سبقونا ، سواء بلغاتها  
أو مترجمة ، أضف الى ذلك ما يسبق هذه الكتب عادة من اعلان ،  
وما تظهر به من اناقة فى الطبع وبراعة فى الاخراج .

هناك نقطة هامة ابرزها الأستاذ عباس محمود العقاد فى  
كتاب « عبقريه خالد » حيث يقول : فالصورة الشائعة فى خيال  
أكثر القارئین عن البادية ان جروب الصحراء لم تكن الا مشاورات  
بالسيوف والرماح ، أو بالقسى والمقاليع ، لا ترجع الى نظام ولا  
تنهج على خطة ولا يخلص منها ما يتعلمه المتعلم وينقله اللاحق  
من السابق ، وقوام أمرها شرازم من السطاة والمفيرين سرعان ما  
تقبل حتى تدبر ، وقصارى ما تعرفه من أساليب القتال ان تفر  
بعد الكر ، أو تكرر بعد الفر .

وليس فى وسع عالم من علماء الجروب فى زماننا هذا ان  
ياخذ عليهم خلا فى خطتهم لم يلتفتوا اليه أو يحصى عليهم وجها  
من وجوه التدبير قصروا فيه ، لأن وجوه التدبير كلها فضول بما  
ان يستقيم للمقاتل :

- ١ - اهبة الاستطلاع .
- ٢ - رسم الخطة .
- ٣ - تنظيم الجيش فى مواقعه .
- ٤ - تنظيم الجيش فى حركاته .
- ٥ - اذكاء العزيمة فى النفوس .
- ٦ - اضعاف الهزيمة فى نفوس عدوه .

وهذه كلها هى صفوة لباب الحرب فى العصر الحاضر وفى العصور الفابرة ، وفى جميع المصور الى آخر الزمان .  
مدرسة البادية

ينشأ القادة اليوم فى حجرات الدرس ، ولا يمكن أن نسمع فى هذا العصر عن قائد لم يتلق علومه العسكرية فى مدرسة أو أكاديمية ، ولعل آخر عهدنا بالقادة من أبناء الهواء الطلق كان فى الحرب العالمية الأولى حيث وصل الى مرتبة القيادة رجال من طبقة الجنود ، وقبل ذلك كان نابليون يعفى الجنيرالات القدامى من مناصبهم ويرفع الى مرتبة القيادة جنودا شجعانا لم يقرأوا فن الحرب على الورق ولم يعرفوا وضع الخطط من الخرائط والمصورات .

وكلما عدنا الى الوراء فى دراسة الحروب والقادة وجدنا ان القيادة كانت هبة اختص بها بعض الافراد فبرعوا وصنعوا المعجزات التى لا تجد لها نظيرا حتى اليوم على الرغم من التغيرات الهائل الذى طرا على جميع أدوات الحرب .

وهم اليوم يدرسون فى اعجاب وتقدير معركة « ارايلا » أو « كانا » بعد عدة قرون . . اما « الاساتذة » قادة هذه المعارك فكانوا قادة بالطبيعة والالهام وحاسة الحرب .

و « خالد بن الوليد » من هؤلاء القادة الذين لم تضمهم مدرسة ولم يكن لهم استاذ ، وانما كانت مدرستهم البادية واستاذهم الالهام .



نشأ خالد في بنى مخزوم ، وكان والده من السادة المعدودين في قريش ، ولم يكن نور الاسلام قد اشرق ، فنشأ خالد في الجاهلية وحارب في صفوفها ثم اضاء الله قلبه بالاسلام في شبابه فصار سيفاً من سيوف الله سله على المشركين .

وقد عرف خالد الحرب يافعا وخاض غمارها بشجاعة فائقة وحارب ضد المسلمين فكان العدو المتمكن ثم حارب مستظلاً براية الاسلام وقائدا لقوات المسلمين فظهر من البراعة في خطته والشجاعة في تنفيذها ما يجعله في مصاف عظماء القادة ، فخالد ابن الوليد يجب ان يعتبر مثلاً أعلى تتجه اليه دراسات شباب العرب فيجدون في سيرته وعبقريته خير ما يمكن الاقتداء به والسير على منواله .

### بطل « أحد »

نشأ خالد نشأة شباب البادية ، صحيح الجسم ، مهيب الطلعة ، متفوقا في ركوب الخيل شجاعا مقداما ، وورث قيادة « الاعنة » وهي بمثابة قيادة الفرسان حتى أصبح قائد فرسان قريش في وقعة « أحد » ضد المسلمين ، وقد أبدى في هذه الوقعة براعة وجسارة ، فلما سنحت له فرصة ووجد في صفوف المسلمين ثغرة قام بهجمة مضادة خاطفة فاخترق الجبهة ودار حولها وأحدث في المسلمين خسائر فادحة فانقلب ميزان المعركة وانتقل النصر من عسكر الى عسكر وجرت معركة دامية رهيبة لكثرة ما سال فيها من دماء وما قضى بسببها من رجال ، حتى اشيع ان « محمد وأبو بكر وعمر » قتلوا وان النصر انتهى في جانب المشركين . . . ولكن قوات المسلمين افاقت من المفاجأة وحاربت بايمان وبسالة وتم لهم الفوز بعد عناء .

كذلك كان خالد مصدر قوة في صفوف المشركين وكاد ان يحرز لقومه الغلبة في معركة الخندق ، ثم دخل في دين الله فكان ذلك بشيرا له بالمجد ورواته الفرصة لقيادة جيوش الاسلام في

فزوات كبرى أبدى فيها من مهارته وعبقريته ما جعله من عظماء  
القادة فى التاريخ .

سيف الله

تلقى خالد من أخيه رسالة يدعو فيه للإسلام ، ويروى له  
أن رسول الله صلوات الله عليه قال « ما مثل خالد يجهله الإسلام ،  
ونو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين على المشركين لكان خيرا  
له ، ولقد مناه على غيره » .

واسلم خالد ، وقال :

يا رسول الله ، قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك  
مبائدا عن الحق ، فادع الله يفرها لى .

فأجابه النبى عليه السلام : أن الإسلام يجب ما كان قبله ،  
الحمد لله الذى هداك . قد كنت أرى لك عقلا ، ورجوت ألا يسلمك  
إلا للخير .

وأصبح خالد فى صفوف المسلمين تصادفه جنود رفاقه  
بالأمس فى جيوش المشركين فيرمونه ويرميهم ، حتى تم للإسلام  
النصر المبين ، ثم حارب خالد عرب الجزيرة وعرب العراق  
والشام ، وجيوش الفرس والروم ، فاتسع مجال قيادته وازداد  
إشراق عبقريته .

### القيادة البصيرة

كان أول قتال يشترك فيه خالد بعد إسلامه هو حملة « سرية  
مؤتة » التى جردها الرسول عليه السلام إلى البلقاء لتأديب المعتدين  
الفسانيين . وفى هذه المعركة استشهد القادة الثلاثة زيد بن حارثة  
وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة فاجتمعت الكلمة على  
تنصيب خالد بن الوليد قائدا . فنظر فإذا هى معركة غير  
متكافئة وقد منى المسلمون بالهزيمة وكثر عليهم أعداؤهم ، فلم  
تملكه فطرة المجازفة وإنما ملكته فطرة القيادة البصيرة فاصطنع

الاستعداد للهجوم وأوقع في روع عدوه أنه سيقا تل من غده ، فلما كان الغد كان جيش المسلمين قد قام بعملية انسحاب متقنة وارتداد مأمون ونجا مما كان قد ألم به من هزيمة وضياع .

وقد أمن خالد جيشه عند انسحابه بقتال المؤخرة حتى يضمن له السلامة ، وأبلى في ذلك القتال حتى اندقت في يده تسعة سيوف وعرف من ذلك اليوم بلقبه الذي أضفاه عليه النبي وهو : سيف الله .

### غزوة حنين :

نفرت قبائل همدان من هوزان وثقيف وجشم وقامت الى شق عصا الطاعة ، واعدت العدة لمهاجمة المسلمين وولت قيادتها فتي جريئا في سن الثلاثين : هو مالك بن عوف النضري الذي خرج بالقبائل بكليتها ، اى برجالها ونسائها وابنائها وممتلكاتها لكي يجعل المحاربين يتماسكون ويقا تلون ذودا عن اهلهم واموالهم قتالا باسلا مستميتا .

وفي المعسكر ، كان خالد على طليعة الجيش في مائة فارس . وجاء فارس من المخابرات يقول : « انه صعد جبلا » ، فاذا بهوزان عن بكرة ابيهم بظعنهم ونعمهم وشاتهم اجتمعوا الى « حنين » .

فتبسم الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) وقال : « تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله » ، وارسل « نقطة ملاحظة » في اعلى الجبل ودعا افرادها الى اليقظة ، ثم جاء اليوم الثاني فقال انه لم ير احدا من العدو ، فبعث الرسول مقدمة . وفجأة قام العدو من مكنه الذي احسن الاستتار فيه وهاجم بشدة وكسب الجولة الاولى من القتال بفرار الخيل والجمال ولحاق المشاة بهم وكادت الهزيمة تتم لولا ان تقدم الرسول بشخصه الكريم وثبت في هذا الهول الجارف وأخذ زمام المعركة كلها في يديه فتجمع حوله

المقاتلون واستبسلوا فى القتال ، وبدأوا الكر بعد الفر وهانت النفوس . . وفى هذه المعركة سقط خالد مشخنا بالجراح .

وقد أوشك المسلمون ان ينهزموا لاعتدادهم بكثرتهم وقسوة ميالاتهم بعدوهم ومن ناحية فان عدوهم كان مأكرا بدأ يحشد الروح المعنوية الى اقصاها ، ثم استخدم المفاجأة فكانت له الغلبة ، وقد وصفت هذه المعركة فى القرآن الكريم « ويوم حنين اذ أعجبتمكم كثرتم فلم تفن عنكم وضائق عليكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين » .

وعلى الرغم من هذه الهزيمة ، التى كادت تودى بجيش المسلمين لولا ان تداركتها العناية ، لقى خالد تقدير النبى عليه السلام وثناءه فبارك له وواساه .

### حرب الردة

اشترك خالد فى حروب الردة من اوائلها الى نهاياتها ، وكانت البادية قد ارتدت عن الاسلام بعد وفاة محمد عليه الصلاة والسلام ووقفت المدينة ومكة وجيرتهما تدافع عن حياضها وعن عقيدتها ، فأخفقت هجمة المرتدين الاولى على معقل الاسلام ، وكان عنصر المفاجأة مدار هذه المعركة ، فكان المرتدون يتوقعون لقاء الجيش فى المدينة ولكن الخليفة كان قد خرج بمن معه فى الليل على تعبئة كاملة وهبط على المرتدين وهم على غير أهبة فلم يلبثوا حتى انهزموا وتفرقوا .

ثم كان لخالد نصيب القيادة على الحملة المتوجهة الى «بزاخة» لقتال المرتدين وقد ودع الخليفة هذه الحملة فقال « ايها الناس ! سيروا على اسم الله وبركته » فأميركم خالد بن الوليد » .

واسر الخليفة الى خالد بأوامره : فاذا دخلت ارض العدو فكن بعيدا عن الحملة فانى لا آمن عليك الجولة ، واستظهر بالزاد وسر بالادلء وقدم امامك الطلائع ترتد لك المنازل ، وسر فى اصحابك

على تعبئة جيدة .. واحرص على الموت توهب لك الحياة ، ولا  
تقاتل بمجروح فأن بعضه ليس منه ، واحترس من البيات فأن  
للعرب غرة .. وإذا لقيت أسد وغطفان فبعضهم لك وبعضهم  
عليك ، وبعضهم لا عليك ولا لك متربص السوء ينظر لمن تكون  
الديرة فيميل مع من تكون له الغلبة .. سر على بركة الله » .

أما جيش طلحة فقد امتاز بكثرة العدد والسلاح وباختيار  
الأرض فهو في موقف دفاعي ينتظر جيش خالد الذي يقطع  
الفيافي ، فلما التحم الجيشان ثبت طلحة وأصحابه ثبات المستميت  
وكرروا على المسلمين كرة عنيفة فكشفوا عن الميمنة ثم اليسرة حتى  
لاح لهم النصر ، وجاء بعض رجال خالد ينصحونه بالتراجع  
ليعتصم بجبال طيء فقال خالد !

لا اعتصم بغير الله .

### هازم الفرس والروم

خرج العرب للقاء الفرس والروم فكانت معركة أحد طرفيها  
اليقين والعزيمة وطرفها الآخر الكثرة والهيبة .

حارب خالد الفرس في خمس عشرة وقعة لم يهزم ولم  
يخطيء ، ولم يفشل قط في واحدة منها ، وكان يسير بجيشه  
أبدا على تعبئة كاملة ، فيقاتل عدوه حيث لقيه مفاجئا أو غير  
مفاجيء ، وكان - كما وصفه عمرو بن العاص - « في أناة القطاة  
ووثبة الأسد » فلا يهمل الحيلة ولا يجعل التعويل كله على الشجاعة  
دون الحزم والحيلة .

وكان خالد يعمل بمبادئ الحرب - قبل نابليون بمئات  
السنين - فهو يكون في كامل ( الحشد ) في الزمان والمكان  
الجاسمين ، وهو لا يسرف في استخدام رجاله ، فإذا كان ألف  
رجل يفتنون عن ألفين بعث بهم مطبقا مبدا ( الاقتصاد في القوة ) ،  
وهو يبعث العيون والطلائع ويرسل المقدمة ، أو يضع رجالا في



اعلى الجبل للمحافظة قاصدا « الوقاية » ، وهو يقبل على الموت  
بروح هجومية غلبة لعلمه بان النصر يطلب « بالأعمال التعرضية »  
ثم يوحى الى خصمه بغير ما ينتوى حتى يستخدم « المفاجأة » .

وما يذكر لخالد فى مقام الثقة بالنفس ، وهى من دعائم  
القيادة ، انه كتب لقائد الفرس قبل المعركة يخبره بين الاسلام او  
الجزية او الحرب ، ويقول : « جئتك بقوم يحبون الموت كما  
تحبون الحياة » .

فلما طلب قائد الفرس مبارزته نزل اليه خالد وصرعه فى  
الحال .

وعندما التقى الجيشان انتصر العرب فى وقعة « ذات  
السلاسل » وهرب الفرس ، ثم اشتبكوا فى وقعة القار التى بلغ  
قتلى الفرس فيها ثلاثين الفا وهرب الباقون ، وكان ذلك نصيب  
الباقى فى وقائع « الوجّه » و « اليس » و « الفراض » من وقائع  
حرب العراق التى قضت على نفوذ الشاهنشاه الأعظم !

وقال ابو بكر : « اعقمت النساء ان يلدن مثل خالد » .

وقال فى موضع آخر : « لانسين الروم وساوس الشبان  
بخالد بن الوليد » .

قاهر « هرقل »

خرج خالد على رأس عشرة آلاف مخارب من الخيرة وقطع  
بادية العراق وهى مفازة « لا يصاب فيها ماء ، مع مضلتها » فقطع  
المسافة فى ثمانية عشر يوما ، وكان بطوى مسافة اليومين فى يوم  
واحد .

وقد اختار خالد أطول الطرق واشدها صعوبة وأبعدها عن  
تصور العدو ، لكى يضمن عنصر المفاجأة ولكى لا يتعرض لمعترض  
من اهل العمران على الطرق الاخرى المسورة .

وكانت المعركة الأولى في أجنادين ، والمعركة الكبرى في اليرموك ، وهى من أشهر الوقائع الفاصلة في حروب العرب .

ولا ريب أن هذه المعارك كانت بين ندين يختلفان فى كثير ، وفى جانب كان رجال البادية البسطاء الشجعان الذين يقبلون على الموت وفى الجانب الآخر كان رجال القيصر الفارقون فى المناعم والملاذات ، وقال خالد « هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البقى واخلصوا جهادكم وارضوا الله بعملكم ، فان هذا اليوم له ما بعده » .

وهزمت الروم .

وبلغ خالد فى معركة اليرموك قمته العليا التى لا مرتقى بعدها لراق : قمع فتنة الردة ، وضرب دولة الأكاسرة ، ووحدة قيادة المسلمين ، وهزم الرومان ، وكان صاحب دور تاريخى يضعه بين عظماء القادة .

وهو قائد لم تعوزه قط صفة من صفات القائد الكبير المفطور على النضال ، وهى الشجاعة والنشاط والجلد وحضور البديهة واليقظة وسرعة الملاحظة وقوة التأثير .

وقد نفذ خالد مبادئ الحرب قبل ان يعرفها القادة فى عهود المدنية الحديثة . فاذا ذكرت أسماء الاسكندر وهانيبال وقيصر ونابليون . . فارجعوا الى تاريخ العرب واذكروا مع هؤلاء . . أو قبل هؤلاء . . خالد بن الوليد .

# جنكيز خان

الوحش الضاري الذي قاد وحوشا ضارية لم  
يعهد لها مثيل في القوة والباس ..

الله في سمائه ، وجنكيز في الأرض .  
ظل قوة الله .

خاقان التتار ، وماهل جميع الشعوب .

وقفت أمام هذا الوصف العجيب الذي اختاره لنفسه القائد  
المفولي الامي جنكيزخان فلم اجد له مثيلا فيما اطلق على القادة  
والاباطرة في جميع الزمان ، وكلما تقدمت في دراسة تاريخ هذا  
الجندي الرهيب ، رأيت أصلا بلا صورة ، وشخصية بغير نظير .  
ليس فقط لما انفرد به من شهرة داوية في سفك الدماء ونهب  
الأعمار والقضاء على الأخضر واليابس ، ولكن أيضا لما أوتي من  
عبقريّة عسكرية وميزات وصفات تضعه في مصاف كبار القادة ،  
حتى قال نابليون :

لم يوفقني الله مثلما وفق جنكيزخان .

### سفاح الشعوب

ولعل الصورة التي ارتسمت في أذهان القراء - من فعل شطور عابرة غير موثوق بصحتها ان هذا القائد الهمجي البدائي كان يعتمد على كثرة اعوانه المرتزقة المتعطشين للفداء والدماء فراح ينتقل بهم من مجزرة الى مجزرة ليطعموا ويشبعوا ما في نفوسهم الحاقدة ، ويقتلوا ويسلبوا ويدمروا وفق شسعارهم : اضرب وخرّب .

ولكن الذي يلجأ للدراسة المستفيضة ويرجع الى المصادر العليمة والمراجع الثابتة التي احاطت بعصر جنكيز خان وظروف الحياة وتأثيرات البيئة والطبيعة والوقت في الكشف عن سيطرته على قومه وقيادته لرجاله وتنظيمه لجيشه وتخطيطه لمعاركه وفهمه الطبيعي لمقتضيات الحرب ودرجه على مبادئها واصولها .. يعلم ان جنكيزخان كان شخصية فذة وقائدا موهوبا وحاكما بارعا وقديرا او فاتحا ، ورجل دولة ، وقد اثر عنه قوله :

ان من يقدر على حفظ نظام بيته يستطيع اقامة النظام في امبراطوريته ومن يستطيع قيادة عشرة رجال بطريقة صحيحة يمكن ان يقود عشرة آلاف رجل .

### رب القوة والبطولة

نبت جنكيز في أرض التتار باقليم دولون يلدق بشرق آسيا ، وكان مولده سنة ١١٥٥ وأبوه من زعماء القبائل المسموعى الكلمة المطبوعين على الحرب والسلب والنهب فنشأ في معسكر الرجال المحاربين يرى الصفوف تلو الصفوف تندفع بإشارة من قائدها وتسابق الرياح في عدوانها وتغير على المدينة فتقتل رجالها وتسبي نساءها وتنزع خيراتها وتجعل عاليها سافلها .

ورأى القبائل تتنازع وتتحارب ، والعاقبة للأقوياء والرجال

يلفون ويدورون لكى يظفر الواحد بخصمه ، او يخدع الحليف حليفه  
فيفدر به ويجهز عليه .

وكان من الأمور المألوفة ان يحدث القتل فى وضوح النهار أو  
تم الفزوة فجأة بلا سابق انذار . ففاية الفرد أو القبيلة هى قهر  
الخصوم ، ولا بأس ان يكون قهر الحلفاء أيضا ، أو تدمير أقرب  
الأقرباء .

فلا عجب ان راينا جنكيز خان ملطخ اليد منزوع العاطفة ،  
ولو لم يفعل لقضى على نفسه فى بداية حياته ! فقتل أخاه وصرع  
عمه وشنق حلفاءه الفادرين وألقى فى الماء المفلى العصامين  
والمتمردين ، وأغار على القبائل فقتل وسبى وغنم ، وغزا المدائن  
فحرقها ولم يترك زرعاً ولا ضرباً ، وبهذا حقق نداء بيئته ونال  
الظفر على خصومه وجيرانه ، وجعل لنفسه امبراطورية عظمى ،  
واسما خالداً بين عباقره العالمين .

ولو كان جنكيز خان رجلاً عادياً لفقد كل شيء بفقد والده ،  
اذ انقضت عنه الرجال وأدارت له القبائل ظهر المجن وصار مهدداً  
هو وأسرته بالفناء . فهجر أرضه واختفى بأسرته فى مجاهل الجبال .  
ولكن قلبه كان مشغولاً بالعلا وعقله يفكر فى الانتقام والسيطرة  
والسلطان ، فبارح مكنه وراح يغير أغارات موفقة لا يجيدها إلا  
الشجاع الجريء ، وذاع أمر هذه الأحداث المشيرة وبدأ نجمه يلمع  
وعوده يشتد وأعوانه يتزايدون .

ولم يعد اسم « نيموجين » مناسباً للقائد الشاب ، فسمى  
نفسه جنكيز خان - أى مبعوث السماء - ووجد الأمانة التى خلفها  
له أبوه بوكاى غير كافية لآماله وأطماعه - فبسط نفوذه على  
سائر الرؤساء ، ولم تعجبه تسمية التتار فاختر لشعبه اسم  
الغول - أى الفزاة - وأصبح هو الخاقان الأعظم فى عام ١٢٠٣ ،  
وهو فى سن الخمسين ، وقد نضجت عقليته واتسعت حيلته  
وتفتحت عبقريته وأخذ يحقق حلمه الكبير : قهر العالم .



وقد سئل ذات مرة عن تلقيبه برب القوة والبطولة فقال :  
لقد هاجموني في صباى سسنة رجال ، وكادوا يقضون على  
القضاء المبرم لولا أن حماني الاله من شرهم ورد كيدهم الى  
صدورهم ، ثم قضى سيفى قضاءه في رقابهم !  
**كتلة من الدم**

كان التتار شعبا موزعا لاتجتمع قبائله على كلمة وان  
اجتمعت على صفاتها في الدمار والهمجية ، وكانت مضاربهم في  
صحراء (١) الجوبي - جنوب بحيرة بيقول - هي مسرح عمليات  
اعتداء وغزوات لا نهاية لها .

ففي تلك الفيا في الشاسعة في وسط وشرق آسيا نشأ التتار  
- من اصل الجنس التنجوسي - وهم اصل اهالي الصين وكوريا  
ومنشوريا وايران والهند وبعض بلدان آسيا الصغرى وشرق  
أوروبا .

وأشهر ما عرف عن التتار التطاحن فيما بينهم على امتلاك  
المراعى والحيوان واغارتهم العنيفة وقتالهم الدموي الرهيب .  
وهذه كانت البيئة التي نشأ فيها جنكيزخان ، وقيل انه ولد في  
يده كتلة من الدم ، وبدأ طريقه الدموي بقتل اخيه غير الشقيق  
- بايكتار - لأنه اغتصب منه سمكة ! وشنق ابن عمه « شاموكا »  
بتحيط رفيع من الحرير !

وكانت أولى معاركه الحاسمة الفاصلة : القضاء على قبيلة  
التايدجوت ، أولى القبائل التي تألبت عليه عند وفاة أبيه ، وكادت  
تقضى عليه ، وقد كانت أشد القبائل بأسا وأعزها جندا ، فلما

(١) حظيت المكتبة العربية بكتابين ضافيين عن جنكيزخان :  
اولهما كتبه عن المراجع الثبت البكباشى ا.ح ثروت عكاشة .  
والثاني ترجمته عن الأديب الصينى فايان ، السيدة صوفى عبد  
الله ، في مجموعة « كتب الهلال » .

طوى صفتها دانت له الزعامة وصار صاحب الكلمة فى منطقة شمال الجوبى وأصبح فى استطاعته ان يبسط سلطانه وما شاءت له همته . . وقد كان يبرق فى فكره مشروع توحيد الجنس المفلولى فى وسط آسيا وانشاء امبراطورية عظمى .

ولم تكن مهمة جنكيز هينة اذا نظرنا الى طبيعة المفلول ولكن همته لم تعرف المستحيل فكان عليه ان يضم قبائل شديدة الناس مثل البورشيكون والتتر والبورتمور والقرايطة والركيت والتندرا ، وان يحكم كل آسيا الشرقية من صحراء الجوبى فى حدود منشوريا الى دولة الخطا غربا ، ثم شمالا الى سيبيريا . . وقد كشف عن لخطته وواجه بها شعبه فقال :

لقد استقر رأيى على ان ادعو اولئك الذين آلوا على انفسهم مشاركتى السراء والضراء ومقاسمتى حلو الحياة ومرها ، اولئك الذين لهم نقاء البلور ، عزمتم على ان ادعوهم شعب المفلول ، وان نجاية ما اتمناه هو رفع شعبنا الى مرتبة السيادة فى العالم .

### يحيى السيف

استطاع نيموجين الشاب القوى الشجاع الذى يحفظ أسرته التى تهددت بالضياح عقب موت أبيه أن يظلها بسيفه ويحمي حماها ويستعيد شأنها فعاد اليها مجدها الفابر والتف حولها الأنصار ، ودوى صيت عاهلها الدموى فى جميع الأقطار .

فهو قد بدا بدرء الخطر عن قبيلته ثم ثنى باخضاع القبائل المجاورة ، فلما تمكن من خصومه الأقربين وأمن مغبة المؤامرات والفتن ذهب يدور ببصره عبر هذه الحدود المتواضعة ، فقد كان يحلم بامبراطورية عظمى يجول فيها بعقله وسيفه .

وقد كانت لهذا القائد التترى الأسمى فطانة حربية قليلة النظير ، فهو رغم تشبعه بصفات قومه قد صقل نفسه وأعمل فكره وجاء بما لم يسبقه اليه أحد فى فنون الحرب ونظم الحكم

وهيأته فطائته لأن يقتحم ساحة التاريخ وينصب نفسه بين كبار القادة في جميع الأزمان .

كان قائدا بالطبيعة تجمعت له صفات الجندية كاملة من شجاعة وهيبة ومقدرة على مواجهة المشكلات الى ذكاء وشدة وسرعة في تحقيق الأهداف ، وكان حذرا ينسام وهو محتضن سيفه وعلى مقربة من مربوط الفرس ، كما كان يوصي أتباعه ان يفعلوا ، وكان له ولع بمشاهدة المعارك وخوضها وتدبر أسرارها وسبر أغوارها فتزايدت مع الأيام تجربته وصقلت معارفه ، ولم يجد في طبعه ميلا الى الدعة والاستسلام او الرغبة في حياة الرغد والسلام ، وانما كانت حياة التقشف والاعتدال والمنسورة وقهر الحصوم هي التي تستهويه ، وتملك عليه حواسه ، وقد قال :

ان جماع سرور المرء في دحر اعدائه وسوقهم امامه والاستيلاء على ما يملكون .

وكان يرتدى ثيابا بسيطة فلا يميزه عن رجاله سوى قرط ثقيل من الذهب يتدلى من أذنه ، وحصانه الأدهم ، ورايته البيضاء التي جعلها عنوانا لسلطوته وسلطانه ، وعليها ذيول تسعة وعشرون .

وقد وصفه أحد أتباعه بأنه كان طويل القامة ، قوى البنية ، شديد الذكاء ، له جبهة عالية ، ولحية طويلة ناعمة حمراء كأنها شعلة من لهب ، وعينان صغيرتان صفراوان كعيني القطط تشعان بالصرامة والقسوة والكبرياء .

واقد كان معتدلا في عاداته فلم يعرف عنه الاسراف في طعام أو ملاذ ، وقد أثر عنه قوله : « اياك .. اياك وشرب الخمر اكثر من ثلاث مررات ، فان استطعت فمرتين أو مرة ، وتحسن اذا لم تذق الخمر على الإطلاق » .

وكان ماهرا فى الفروسية والرماية الى حد بعيد ، خبيراً بالرجال يعطف على المخلصين الجادين البواسل ويشجعهم ويتلطف معهم ويوزع عليهم مغانم الحرب ، ولكنه كان غادراً فظيماً لا يعرف قلبه الرحمة اذا خدعه احد أو تأمرت عليه جماعة فيندفع الى الاقتصاص « كعامود متحرك من نار جهنم » .

ولو كان جنكيز خان رجلاً همجياً معتمداً على القوة وحدها لما استطاع أن يجمع حوله قادة ممتازين - مثل سابوتى الذى يعتبر من أعظم قواد التاريخ كله - فقد درج جنكيز على اصطفاء الرجال الأقوياء الأمناء وخاصة من الشبان الذين وثق من ولائهم وكفايتهم فجعلهم على رأس وحداته التى يعتمد عليها فى غزواته وفتوحه العظمى .

وقد أخذ جنكيز عن المفلول عقيدتهم الحربية - اقناء العدو - وحققها بأبشع الوسائل ، فكانت خطته الحربية دهم العدو بالحيلة والحكمة واتيان كل شيء يوصله الى الغرض وتو قلب البلدة الى مفبرة كبيرة .. وبعدها تفلح الارض وينبت الحب وتنبت الحياة من جديد .

وكان لا صبر له على الحرب ، فلم ينته من معركة حتى يفكر فى أخرى ، ويظل يبحث عن غريم ويسعى الى غزوات متتابعة ، فاذا بدت فى الأفق حرب جديدة عدت اعصابه وصاح فيمن حوله .

حسناً جداً . هاتوا الى جوادى وسيفى ، فلينتحب العالم لى يسعد جنكيز .. يحيا السيف .. تحيا الحرب ! .

لاسلام بغير حرب :

« افطر بعدوك قبل أن يتغدى بك »

كان هذا اول درس تعلمه جنكيز خان عقب وفاة والده فقد انتقض عليه جيرانه « التايدجوت » وكادوا يفتكون به ففر بأسرته

الى الجبال وكان يخرج فى حذر الى القنص ويعود بالفداء ، وشرع فى عمل بعض غارات عاد منها بالخيـل ، والرجال ، فان الرجال دائما يتبعون القوى ويقبلون على محالفته والعمل معه ، وقد راعهم ذلك النجم الثاقب الذى دوت شهرته فى الفيافى والقفار فأقبلوا عليه واستظلوا بنور قوته وعقليته .

وسعى الى التحالف مع قبيلة القرايطة الاشداء ، وكانت خطوة تدل على الحصافة وبعد النظر ، اذ ذهب اليهم فى ثياب القوى المقتدر ، فأقبلوا على محالفته . واشترك جنكيز مع عمه طفول خان ضد خصوم الطرفين ، فهذه معاهدة تحالف ودفاع مشترك جعلتهما يتعاونان فى بعض الفزوات التى اظهرت قيمة جنكيز وادارت الازهان اليه فوجد فيه التتار جنديا باسلا وواضع خطط محنكا .

ثم يكن فكره مشغولا بدفع الأعداء عنه فحسب ، بل كان ينظر الى توحيد القبائل جميعا تحت امارته وجعل الجميع أسرة واحدة وجيشا واحدا يأتمر بأمره . ومن ثم يستطيع أن يفزو به العالم المتحضر ويصبح سيدا كبيرا . . وفى هذا السبيل كان يعمل بالسياسة والقوة وقال « لقد علمنا كبارنا ان القلوب المتنافرة والعقول المختلفة لن تجتمع فى جسد واحد ، غير انى عازم على تحقيق هذه الغاية بعد فرض سلطانى على جميع ما حولى » .

وقد اشترك جنكيز خان وعمه طفول خان فى معاونة امبراطور الخطا ضد التتار فتم لهم النصر ، وظهرت فى هذه المعارك عبقرية جنكيز خان الذى منحه الامبراطور سريرا من الفضة مغطى بنسيج من الحرير الموشى بالذهب ، واطلق عليه لقب « القائد ضد الثوار » .

وظهرت المنافسة بين طفول خان وجنكيز خان ، كان اولهما صاحب حول وطول ، فجاء الثانى ينازعه مكانته المرموقة . وحدث احتكاك بين الفريقين على صورة « حوادث الحدود » ، واخذ كل



فريق ياتمر بالآخر ، وكان للقرايطة السسبق في الاستعداد والتعدى ، وبدأ زحفهم الكبير الذى لم يكن فى استطاعة جنكيز أن يواجهه بقوة فراح يواجهه بحكمته وحيلته .

وقام جنكيز بأكبر عملية تمويه وخداع اذ اصدر اوامره بترك معسكراته على حالها - كأنها عامرة بالجند والسلاح - وانسحب فى جنح الظلام انسحابا لم تفارقه مبادئ الوقاية والسلامة مدى تسعة أميال . وقسم رجاله الى قوة ساترة وأخرى ضاربة . وبينما كان شارعا فى تنفيذ خطته كان القرايطة يدبرون له بليل ويتسللون فى ستر الظلام الى معسكره ، وخيمته بالذات ، ولما ظنوا أنهم أدركوا غرضهم وأوشكوا على النيل منه فوجئوا بالخطأ الماترة وطارت نفوسهم شعاعا من هول ما رأوا من تمويه وتضليل لم يعرفوا ما وراءه . . فانطلقوا يقتفون الأثر ويضربون فى الأرض بحثا عن غريمهم الخطر ، فاستقبلتهم طلائعه بحملات صادقة وبدأت المعركة بين مجموعتين غير متكافئتين فى القوة ، فلم يتغلب العدد على الجسارة ولم تنتصر الأسلحة على العزائم . . وأمر جنكيز خان أحد أتباعه الشجعان - جولداز - فقام بعملية « النبلوما » أى حركة الالتفاف حول مؤخرة العدو وأحرز نصرا مؤزرا تحدثت به الأساطير .

وقال وانج خان : لقد كنا نقاتل رجلا ما كان ينبغي أن نقاتله .

وجمع جنكيز خان مجلس الحرب - من زعماء القبائل والقادة - وعرض عليه الموقف ، وما كان من اعتداء القرايطة ، فاتخذ المجلس قرارا بتوليته قائدا لجميع قوات المغول ، وتسليمه صوبولجان الرئاسة ، فطلب اليهم أن يكونوا عند كلمتهم وأن يطيعوا كل أمر يصدر عنه وختم وعده ووعيده بقوله :

لقد انتويت المحافظة على أرض أسلافنا وتقاليدهم وسأجلب لكم رأس طفرل خان وولده .

## الحرب خدعة :

قال القائد العالى « سابوتاي » لزعيمة جنكيز خان :

« سادرا عنك خصمك كما يدرأ عنك الليباد لفح الريح » .

وانطلق الى معسكر الأعداء ، ممثلا أنه هارب من قيد المغول الدموى ، وراح - فى معاقل القرايطة - يذيع الأخبار الكاذبة وينطق بالمعلومات المضللة عن قوة جنكيز ومحلات جنوده ومدى استعدادده ، وأراد الخصوم أن يتكشفوا الحقيقة ويعلموا مبلغ صدق معلوماته فأرسلوه مع حملة من قواتهم نحو معسكرات المغول ، فوقعوا فى أسر جنكيز وقضى عليهم بينما اندفعت قواته نحو أراضي القرايطة فهزمتهم شر هزيمة .

وهنا خلا له الجو لتحقيق أطماعه ، فسارت جيوشه شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وأخذت إمبراطوريته تتسع ونفوذه يمتد ، أو كما قال ماركوبولو : لقد شرع يفكر فى غزو بقية العالم !

وأعلن شعب المغول ولاءه للعاهل الرهيب ، الذى ينحدر من سلالة الآلهة والوجود الذى يعطى الحكمة والسلطان .

## سور الصين :

لم يقتنع جنكيز بما أحرز من نصر وفتوح يعجز عنها القادة الأشداء والملوك ذوو الطموح ولكنه كان يريد كل شيء ، كان لا يعرف الحدود والقيود وإنما يمد بصره ماشاءت له مطامعه فيرى مالا يراه غيره . ولقد سولت له عقليته الفذة ومقدرته الفائقة أن يكون سيد العالمين ودعته طباع قومه وعاداتهم الى المزيد من الفتح والتجوال والاسترسال ، وكان قد بلغ سور الصين العظيم الذى يحمى خلفه مملكة القطا ذات التمدين والخيرات ، فانفذ اليها بعض جواسيسه وكشافته يسرون نحو الدفاعات ويتقصصون أخبار الجند حتى تجمعت لدى سيدهم المعلومات اللازمة لمغامرته الجديدة . ثم تحركت طلائعه فكان على رأس المقدمة قادته

البواسل موهولى ونويون ومايوناي .. على رأس ثلاثين ألف فارس ، لكل فارس جوادين ، ثم تقدمت القوة الرئيسية من مائتى ألف جندى ونيف ، قسمت الى جناحين كل منهما خمسين الفا ، وقلب مكون من مائة ألف يكونون الحرس الخاص .

وقد فوجئ العدو بهذا الهجوم - الذى مهد له الطايرون الخامس - فانهارت مراكز الدفاع وتراجعت الصفوف ، ومدت الهزيمة خطواتها بفعل الدعاية والاشاعات . ولكن روح الصين لم تهزم فقاتلوا ببسالة لامثيل لها للدفاع عن الامبراطور المقدس وانتهت الحملة بغير نتيجة وارتد عامل المفلول بسهم فى ساقه .

وفى العام التالى قاد جنكيز خان حملة خطيرة مدمرة اجتشت كل ما على الأرض وانقضت على العدو كالصاعقة الماحقة ، وفر الامبراطور وولى عهده وعم البلاد الذعر والفوضى ، فاستسلمت للروحوش الضارية .

**ندمر .. ثم نبذر الشعير :**

وصلت امبراطورية جنكيز خان الى حدود امبراطورية خوارزم الاسلامية - وكانت تمتد من العراق الى حدود الصين ، ومن شمال بحر قزوين الى الخليج الفارسى - وكانت الجيرة الجديدة تؤرق القوم . هنا حيث الدولة الراقدة فى العز والمحد القديمين ، وهناك حيث الدولة الفتية القائمة على السيوف والحرايب ، وكان لا مندوحة من الحرب .

وبدا الاحتكاك بقوافل التجار يبعث بها جنكيز الى بلاد غريمه تذهب بالبضائع والأفكار وتعود بالمال والأخبار . وتنبه أصحاب الأمر فى خوارزم الى ذلك الخطر الزاحف فأخذوا فى الاستعداد ويبدو أنهم لم يقدروا الموقف على حقيقته ولم يحصلوا من المعلومات ما يجعلهم على حذر وحيلة ولهذا جانبهم الحكمة وعاملوا رسل المفلول باحتقار ، ووقعوا فى المحذور ..

وجمع جنكيز خان رجاله وأنباهم بالصيد الجديد :  
أتسمعون يارجالى الشجعان ، لقد قتل المسلمون رسولى  
وقضوا على أربعمائة وخمسين من رجاله ، وهم من خيرة قوادى  
وجنودى . فهل هذا يحتمل ؟

فصاح المغول من أسفل الجبل :  
سر بنا اليهم أيها الخاقان . سنحرق مدنهم ونلدبجهم جميعا .  
وهكذا كان يفهمهم ويفهمونه .  
هو يشير اليهم بما يصادف هوى من نفوسهم : الفرو  
والسلب .

وهم يتبعونه كظله . لأنه قائد شديد البأس عظيم الحكمة ،  
قادر على احراز النصر .

والجنود - كل الجنود - كما يقول المارشال مونتجمرى :  
يحبون القائد الذى ينتصر .

وتجمع المراجع المختلفة على أن طريق جنكيز ، كان محفوظا  
بالمكاره مليئا بالاعطاش بسبب وعورة المسالك وقسوة البرد ونذرة  
الأطعمة ، مما لم يسبق لفاتح أن واجهه ، وما لم يكن لغير المغول  
أن يتحملة ، وبعد ذلك كله كان على جنكيز خان أن يواجه أربعة  
أمثال قوته ، فى أرض عدوه .

وانتصر جنكيز خان ، وفر رؤساء خصومه ، جلالة السلطان  
هلاء الدين محمد وولده القائد الشجاع جلال الدين ، ودالت دولة  
بخوارزم العظمى ، وتربع جنكيز خان على العرش الذهبى .  
ووصف أحدهم هذه الحملة الفظيعة بقوله عن المغول :

« جاءوا فخرّبوا وحرقوا وقتلوا ونهبوا .. ثم مضوا » .  
وهكذا استمرت قوات جنكيز خان تفعل كلما تجولت شرقا  
وغربا .

وسأل جنكيز رجلا من أهل الحكمة :

هل يبقى اسمي خالدا بعد موتي ؟

فاجابه الحكيم :

يبقى الاسم ما بقى سكان .

ببساطة الحرب :

لم يكن بالمستطاع - فى مثل هذا الحيز المحدود ، وفى حديث من قادة عديدين - أن نكتب بالتفصيل عن حياة جنكيز خان وحروبه ، فالقصد هو بحث عوامل التفوق فى القيادة وأسباب النجاح الحربى التى حققت المجد والخلود لذلك المحارب البدائي الأمي ، والعجيب أن اسمه قد اقترن بالوحشية والفظاعة واعتبر زمرا للتقتيل والتدمير بلا حساب ، ولكن هذه « السمعة » لا يمكن ولا يجب أن تخفى مزايا هذا القائد العبقري وما كان له من براعة فى وضع الخطط وعزيمة فى تنفيذها فضلا عما أوتى من حكمة وبعد نظر كرجل حرب وسياسة وحكم .

وقد كتب عنه الجنرال الأمريكى - الذى اشتهر بقساوهر اليابان - دوجلاس مكارثر ، فقال قولا قد يندهش له القراء وخاصة ممن انطبع فى ذهنهم ما اشتهر عن جنكيز خان وقواته البدائية الهمجية .. قال :

( لو محيت جميع أخبار الحرب من صفحات التاريخ ماعدا أخبار جنكيز خان لبقى لرجال الحرب معين لا ينضب من أنفس المعلومات عن تعبئة الجيوش وتنظيمها ، ومهما تغيرت أسلحة القتال فلا بد من الرجوع الى الماضى ومطالعة التاريخ . ليحشد الجندي فنون الحرب ومبادئها الأساسية التى لا تتغير . ولن تجدها ممثلة بأوضح مما هى فى سيرة امبراطور المغول منسذ سبعمائة عام ) .

ويرى الكاتب الصينى ف يان - حامل جائزة ستالين للسلام ان من الخطأ الشائع أن يقال ان جيش المغول كان جيشا من



الهمج ، يهاجم كما تهاجم قطعان الذئاب ، بلا نظام ، والحق أن جيشهم كان منظما تنظيما يفوق غيره من الجيوش ، وكانت الخطط الحربية ترسم بحذق وذكاء ، فليست أمية جنكيز خان ورجاله بمانعة أنه كان عبقريا في الحسب . . أن رجاله كانوا موهوبين في القيادة وإدارة الجيوش ، وقد أعانتهم على تحقيق التفوق العسكري في ذلك الحين طبيعة الطاعة والجلد والشجاعة، إلى تخاذل أعدائهم وانحلال الملوك من حولهم لأنهم من أعقاب السلالات التي أفسدها الترف والفرور وجو الملق والضعف الذي انغمسوا فيه .

### التنظيم والتدريب . . والضبط والربط :

لقد خلق جنكيز خان جيشا من العدم . لقد وجد نفسه يوما بلا رجال ، إذ انقض عنه الجميع عند مصرع أبيه . فراح يحاهد وحده لحماية أسرته ثم بدأ يناضل لاشباع ما في نفسه من أقدام وطموح فاشتهر أمر مغامراته وأعجب الرجال بشجاعته، فبدأوا ينضمون إليه . وهو يقرب إليه كل قوى أمين ، حتى خرج بجيش صغير إلى مغامرات أكثر اتساعا وأبعد أغراضا .

وأخذ جيشه يتزايد حتى أصبح أعظم قوة في زمانه بفضل تنظيمه وتدريبه وخطته ووسائل مواصلاته وتموينه ، ففتح به ذلك العالم مستخدما ثلاثة مفاتيح :

### التنظيم - التدريب - الشدة .

وقد عرف جنكيز خان كيف ينظم قواته في جماعات وسرايا وكتائب وفرق وجعل كل محارب يعرف مكانه الذي وضعت فيه القيادة فيبدي فيه خير ما عنده من اندفاع وبسالة ، وقال في ذلك :

( تستمر قواعد تنظيم جنود الجيش إلى عشرات ومئات وألوف وعشرات الألوف كما هي نافذة المفعول حيث أن هذه القواعد تساعد على تعبئة الجيش في فترة وجيزة ) .

وعرف أن جنكيز خان كان يدرب قواته - في فترات الفراغ من الحرب - فيذهب بها الى ساحات بعيدة حيث تتلقى فنون الهجوم واساليب التعاون ووسائل الاحداق بالعدو ، ويمرنهم على القتال في السهول والجبال والوديان والأنهار ، فهو لم يترك قواته تنعم بالراحة التي تذهب بالعزيمة وتضيع الحماسة وانما كان يرى ضرورة التدريب الجيد لكي يصل الى النصر المؤزر .

كما عرف انه كان شديد العناية بالضبط والربط ، فهو يكافئ بشجاعة رجاله الامناء ويقضى بفضاعة على الخونة والضعاف . كان لا يقبل أى هوادة فى معاملة رجاله ، وكانت هذه الشدة مصدر قوته ، كما كانت مصدر شهرته ، فتزعزعت لها قلوب الأعداء قبل اللقاء وسقطت الحصون والقلاع من غير دفاع .

وقد وضع جنكيز خان اوامر مستديمة لقواته فى تلك الأحكام المجمعـة المسماه « بالياسة » فحدد فيها نظام التعبئة . وتنظيم الجيش ، ومسائل التموين والاعاشة والجرائم والعقوبات ، والعمل فى اراضى العدو ، والتصرف فى الفنائم . وهكذا حقق من تلقاء نفسه ، وبوحى تفكيره الخاص ، جماع النظم العسكرية الحديثة قبل سبعمائة عام .

وقد جاء فى وصف أحدهم لجيش جنكيز خان :

أنهم يطعمون لحم البشر ولهم جماجم من نحاس وأسنان من صخر وقلوب من فولاذ ، تقذف أفواههم الحميم ، وتشرب خيلهم الندى ، لهم أجنحة كالطير ، وتتفدى خلال المعركة على لحم البشر .

**القائد العظيم :**

كان لجنكيز خان جيش هائل . وقادة من الصف الاول :

سابوتى الحكيم ، وموهولى المحنك ، وشيبيه نويون النازى المدفع ، وبورشو الامين . ولكل منهم فى ساحات القتال صفحات

مجد وبطولة ، حتى لقد وضع المؤرخ الحربى ليدل هارت اسم  
سابوتى اعظم القادة فى التاريخ كله .

وكان جنكيز يشجع قواده ويفخر بهم ، ويجزل لهم فى العطاء .  
ويوليهم رعايته وحسن توجيهه ، فكان اذا بعث احدهم فى غزوة  
بصره بما سوف يلقاه فى طريقه ونبيه الى مايجب عمله فى مواجهة  
كل موقف ، فقال لسابوتاي :

( انك سوف تمر حتما فى طريقك الى هدفك بين ممرات  
الجبال الشاهقة وتعبر الأنهار الكبيرة ، ولما كانت الشقة طويلة  
فاقتصد فى خيالتك ، وفر من مئونتك . انك سوف تصادف  
خيلا كثيرا فى طريقك فلا تأذن لجنودك بالصيد الا بقصد  
الاستعاضة عما نقص من مئونتك حتى لاتصبح خيولك مجعدة  
قبل ان تلقى العدو . وتأكد ان الشكائم والأعنة لا تؤذى افواه  
الخيول . واذا تجرأ أحد على مخالفتك فابعث به الى ان كنت  
أعرفه وعاقبه بنفسك ان كنت لا اعرفه ) .

وقد اطرى جنكيز قائده الداهية سابوتى « والمعصوم من  
الخطا » ونوه بمعاركه المظفرة فى ايران وجورجيا والقوقاز وجنوب  
روسيا وبلغاريا بين صيف ١٢٢٠ وشتاء ١٢٢٢ وكان يقول :

( لقد كان سابوتاي ينام مدرعا وقد فاز فى معارك دامية ،  
وخاطر بحياته من أجل بيتنا ، ونحن عنه راضون ) .

أما رأى جنكيز خان فى القائد الجيد فهو :

القائد الذى يقطع المسافات الطوال بلا تعب ولا جوع ولا  
عطش ، ولا يعانى رجاله التعب والجوع والعطش ، فالقائد الناجح  
هو الذى يضع أمامه هذه المشاكل ويجعل مدى احتمال الطاقة  
البشرية نصب عينيه حتى يكون بوسعه ادراك متاعب جنده . كما  
انه يريح جنده وخیله كلما وجد الى ذلك سبيلا .

## مبادئ الحرب :

المحافظة على الغرض ، الحشد ، الاقتصاد فى القوة ، الوقاية التعاون ، المفاجأة ، خفة الحركة ، والقتال الهجومى .. لقد عمل بها جميعا جنكيز خان ، قبل أن تجمع هكذا ويعرفها العالم المتمدين باسم مبادئ الحرب .

كان يحدد هدفه بدقة ولا يجعل شخصا يحوله عنه ، وكانت مظامعه الكبرى لاتجعله ينزلق الى غرض لم يقدره جيدا ، فاذا توجه الى قتال أعد له عدته ودرس تفاصيله ووضع خطة محكمة ومضى اليه مهما لاقى فى طريقه من صعاب .

ولم يكن جيش جنكيز اكثر عددا من خصومه ، بل كثيرا ما حارب عدوا يبلغ ضعفى أو أربعة أمثال جيشه ، ولكنه فى الساعة والمكان الحاسمين يكون قد حشد اعظم قوة لتوجيه الضربة الأخيرة .

وكان يدفع الطلائع فى مقدمة جيشه تتقدمها الكشافة حتى يؤمن القوة الأساسية ويمنع عنها المفاجأة . وفى عملياته الدفاعية القليلة كان يترك قوات سائرة تتلقى الصدمة الاولى وتظل تناوش العدو حتى تستطيع القوة الأساسية ان تستعد وتنفذ خطتها ، وفى تقدمه نحو مواقع العدو كان يبعث بالمقدمة تسير الغور وتحصل على المعلومات حتى تمهد للهجوم الكبير .

وكان ينظم جيشه بين مقدمة ومؤخرة وقلب وأجنحة ويحرك الجميع فى خطة واحدة متعاونة تتقدم المجموعة فى حماية الأخرى ، وتناور الوحدة لتحجب انظار العدو عن هجوم الوحدة الأخرى .

أما المفاجأة فكانت سلاحه المفضل ، كان يبعث جواسيسه فى مناطق العدو يدرسون أحوال الأهالى ويسبرون غور العدو ، وهم يمثلون التجار ويجذبون اليهم عملاء ذوى مناصب تبعدهم

عن الشبهات ، فاستخدم الجاسوسية على أوسع نطاق ، وأنشأ الطابور الخامس قبل أن يفكر فيه الجنرال فرانتكو بمئات السنين، ويظل دولا ب المخابرات يعمل حتى يصل الى جميع المعلومات اللازمة ثم يفاجئ العدو من حيث لا يحتسب فيقضى فيه القضاء المبرم بفعل المفاجأة وقوة الضربة .

ومن أساليبه المثلى في انتزاع المعلومات من مصداورها واستقصاء الأخبار على حقيقتها أنه كان يبعث بعض رجاله يدعون انهم هاربون من ظلمه وعسفه مستجيرين برحمة خصومه ، وهناك يواصلون جمع المعلومات والأخبار ، ويدلون في الوقت نفسه بمعلومات خاطئة مضللة فيقول لرجله :

« لقد أحسنت صنعنا ان غررت بالعدو ، وافهمته ان جيشنا ليس كفؤا لجيشه » .

### جواسيس جنكيز خان .. في كل مكان :

كانت المفاجأة نصف المعركة وهذا يوضح أسباب اهتمام القائد المغولي الفطن بالجاسوسية والطابور الخامس والكشافة . فكان الفارس من فرسانه يقطع ٥٠٠ ميل في نهار وليلة . وكانت بعض الأخبار تضله بانتظام وسرعة وسرية مطلقة عبر عشرة آلاف ميل .

كما كان جنكيز معنيا بالمعنويات ، فكان يبعث الحماسية في جنده ويبعث الهزيمة في خصومه فيقوض روحهم المعنوية وقد بلغ في ذلك نجاحا لامعا حتى قيل ان جنكيز خان اذا أصدر أمرا على حدود الصين فان أسعار السمك تنخفض في انجلترا ، ويباع الخمسون منها بشلن واحد ..!؟

والذي يقدر اثر المفاجأة لابد أنه يعمل لوقاية قواته منها فكان جنكيز فطنا اذ منع حصول العدو على أية معلومات الا اذا كانت مضللة ، وكان يقضى قضاء مبرما على الجواسيس والخونة ودعاة التردد والهزيمة ، فاذا تحرك لقتال اخفى كل شيء عن



تحرركاته حتى لا يعرف اتجاهه وخطته غير المقربين الموثوقا  
باخلاصهم ، وكان خلال حملاته يفضل الطريق الأكثر صعوبة ،  
ويختار السير في الشمس المحرقة أو الليل البهيم كما كان يحرم  
اقامة الخيام ، فاذا كانت وقفة للراحة جعل نوم الفارس الى جانب  
حصانه وعنانه في يده تحوطا من المفاجأة وتحفزا لمتابعة السير .

١ : ٣

وكان جنكيز خان لا يبلغ مبلغ عدوه في الأفراد أو الأسلحة ،  
وانما كان يبزه بجنود أقوى عزيمة وأصلب عودا ، حتى قيل انه  
لو بعث عشرة من رجاله لمواجهة ألف رجل لانطلقوا كالليوث  
الجائعة ليظفروا بأعدائهم . . لان هذه هي ارادة الخاقان الأعظم .

وقد كان يحدث رجاله بنتيجة المعركة قبل وقوعها ، مما يقوى  
معنوياتهم ويزيدهم ثقة في عاهلهم وفي انفسهم ، فيقول :

« ان اماننا افراحا كثيرة نحيتها في بلاد حوارزم ، واني  
لأرى رؤيا العين ديارهم وقد انقلبت حقولا ترعى فيها خيلنا ،  
وأرى رجالهم يفرون من رجالنا رعبا وقد قتلهم الخوف قبل ان  
يقضى فيهم السيف » .

وكان جنكيز خان يعيش وسط جنوده ، فاذا أزفت ساعة  
الخرج وجدوه بين ظهرائهم يقاسي مثلما يقاسون ، فيجعلهم ذلك  
أكثر اندفاعا واستبسالاً ، فكانوا لا يعرفون الراحة ولا تطيقونها ،  
بل يستمرون في تقدمهم عدوا بتلك الخطوات السريعة المتلاحقة  
المسماة « خطوات الذئب » .

وقد حدث يوما أن حاوره بعض خصومه في مفاوضات  
التسليم ، بقصد إيهامه أن حصونهم مانعتهم من أمره : فقال :

لا . لا

انما تقاس الأسوار ومناعتها بقوة قلوب المدافعين عنهما ،  
ومقدار شجاعتهم ، فلا منعة للطوب اذا وهنت القلوب » .  
وبعد ذلك بمئات السنين ، قال نابليون : ان نسبة القوة  
المعنوية الى القوة المادية ١:٣ .

### الحرب هي الهجوم :

ان تاريخ حروب جنكيز خان هو دراسة تفصيلية لعدة عمليات  
هجومية ، فاذا استثنينا موقفين ، قام في أولهما بعملية انسحاب ذات  
خداع وتمويه ، وفي ثانيهما بدفاع مؤقت أعقبه الهجوم فان  
عملياته كانت تعرضية ، وكان يرى أن الغلبة بنت الهجوم ، وان  
الافطار بالعدو خير من الغداء به .

وقد اشتهرت عملياته بالهجوم العنيف الذى يجتاح كل شيء ،  
على غرار الحرب الخاطفة الحديثة ، ومن ذلك هجومه على بخارى  
الذى جاء وصفه فى بعض المراجع : ( ان القوم خرجوا ليروا ذلك  
العدو الداهم الذى فاجأهم فى عقر دارهم فراوا منظرا عجبا ..  
راوا خيلا قصيرة القوائم سهلة الحركة فى عصبية ظاهرة حتى  
لتشبه فى عدوها الخنازير البرية اذا طاردها كلاب الصيد ..  
انهم جند ياجوج وماجوج .

وما أسرع ما املأت شوارع المدينة بألوان من خيل التتار ،  
وفى نظام محكم جعلت طوايرهم تجوب المدينة وتتجه كتائب  
منها لاحتلال المعالم المهمة ، فلما تم للمغول احتلال جميع مرافق  
المدينة دخلها فيلق جميع خيوله بيضاء كالثلج ، وفى وسط هذه  
الفرقة المنتقاة ظهر للناس عاهل الشرق كأنه عامود متحرك من نار  
جهنم ) .

### رجل سيف .. ورجل حكم

والى جانب انه كان من رجال السيف المشهورين الخالدين  
فى جميع الأزمان ، فان جنكيز خان كان حاكما سياسيا فذا قاد

شعبا ضخما وحكم املاكا شاسعه وسساس امور اقوام مختلفة طبائعهم وعاداتهم ، فاذا كان كقائد عظيم نجح فى تنظيم جيشه وتدريبه ، فانه كحاكم فطن قد بلغ اعظم مراتب التوفيق فيما صنعه لشعوبه من نظم وقوانين وشرائع .

فهذا الجنسدى الامى الذى انشا جيشا رهيبا ثم اقام امبراطورية عظمى كان مفكرا حصيفا وحاكما بصيرا ، وقد ترك اثرا خالدا من النظم والاحكام ، وهو المسمى « الياسة » الذى لم يترك ناحية من نواحي الجنديية او النواحي السياسية لم يضع لها نظاما دقيقة واحكاما منصفة .

وقد بدأ مجموعة قوانين الياسة بقوله : الله واحد خالق السموات والارض ، مانح الخير والشر ، والفنى والفقر ، والعسر واليسر ، واهب الحياة والموت يفعل ما يشاء .

وفى الياسة كثير من الاحكام التى تصلح لزماننا هذا وفيها توجيهات وارشادات ، ونظم تصلح لارقى الشعوب واعظم الامم .  
اما بعد . . فهل كان جنكيز خان جنديا همجيا افاقا . . ام كان قائدا عظيما وامبراطورا اعظم ؟



# دوق مارلبورو

ان مارلبورو هو اعظم قائد انجبتة انجلترا وقد  
كان يملك الصفات التي تجعله اعظم القادة في  
جميع العصور .

مارشال ويفل

كان جون تشرشل - المشهور باسم دوق مارلبورو - احدا  
القادة البريطانيين الكبار بل كان قائدا عالميا لا يقف في صفه غير  
افراد قلائل في جميع الازمان ، ويعتبره المارشال ويفل « اعظم  
قائد في التاريخ » .

قال عنه مؤلف كتاب « المظماء المائة » انه لم يهاجم حصنا  
الا فتحه ، ولم يخض معركة الا كسبها ، ولم يبلغ مبلغ فطائنة  
البحرية غير شجاعته الهائلة وعمق تفهمه لاحداث عصره .  
كان جنديا وسياسيا ، ومثلما استطاع توجيه جنوده في  
خومة الوغى فخورين بقيادته استطاع ان يعامل خلفائه بفطانة



وكياسة فاستظلوا بأرائه وسياسته ، وانه كان عظيما بين بنى وطنه  
وفى بيته أيضا ، فكان ابا وزوجا ، وصديقا يخلب الالباب ..  
وكان يعامل جنوده بتشجيع واعجاب فائقين ، وكان - بعد المعركة  
- يذهب يتفقد الجرحى من رجاله ومن أعدائه ، ويشملهم برعاية  
وعطف سابقين .

وهكذا كان نموذجا للقائد الاصيل والانسان النبيل .

وكان فولتير يعجب بشجاعته الهائلة وسط الاخطار الماحقة  
وهدوئه النفسانى فى غمرة الويلات .

### جيش الملكة :

فى صبيحة ٢١ اغسطس ١٧٠٤ كان أحد الفرسان يجتاز  
شوارع لندن على صهوة جواده لم ينزل عنه منذ أيام ، اذ كان  
قادما من ميدان القتال ميمما شطر قصر سان جيمس وما أن بلغه  
حتى ترجل وصعد سلالم القصر قفزا لكى يضع فى يد « سارة  
تشرشل » دوقه مارلبورو الرسالة الآتية :

( ١٣ اغسطس سنة ١٧٠٤ )

ليس لدى وقت لأقول لك اكثر من أن ترفعى تحياتى للملكة  
ونحيطيها بأن جيشها احرز نصرا مجيدا .. ان « المسنيو تالار »  
واثنين آخزين من الجنرالات فى يدي الآن . وأنا بسبيل صيدة  
الآخرين .

ان حامل هذه الرسالة ، ياورى كولونيل بارك سيبلغ الملكة  
ما جرى .. وسأوافيها بعد يوم أو يومين بأكثر من ذلك وأهم ..  
( مارلبورو )

وكانت هذه السطور القليلة تحمل الى انجلترا خبر اعظم انتصار احرزته قواتها منذ القرون الوسطى .

كما كانت تحمل الى العالم امر جندي كبير بلغ أعلى ذرى العبقريّة العسكرية ، فان معركة « بلانهم » تعتبر من فواصل معارك التاريخ ، وقد دوت صعقاتها على حد قول « اليسن » - في انحاء « أوروبا » وهدمت صرح القوة الذي كان لويس الرابع عشر يتمتع فيه .

### الجنّتلمان الانجليزى :

ولد جون تشرشل فى مايو سنة ١٦٥٠ ودرس فى سان بول وبدا أول عهده بالجنديّة فى « طنجة » ولكن شهرته العسكريّة قد سبقتها صفاته المحبوبة حتى كان الفرنسيون يطلقون عليه اسم « الجنّتلمان الانجليزى » وقد التحق بحرس القصر وخدم فى ميدان القتال وهو برتبة اليوزباشى ، وكان ذلك تحت قيادة دوق مونموث فى فرنسا ، وبزغ نجمه فى وقعة فتح مدينة تميجين وفى حصار مستر يخت سنة ١٦٧٣ وكانت شجاعته موضع ثناء لويس الرابع عشر ، وقد قدمه دوق مونموث الى الملك شارل الثانى بقوله : « ان حياتى مدينة لشجاعته » .

### زوجة من ذهب :

وعند عودته من الميدان الى الوطن والقصر وجد ضيفا جديدا دفعت اليه المقادير الانسة سار جنتجز ، فتحابا وتزوجا ، فلما اشرق نجمه عرف انها كانت خير دافع له الى العلا ، كان جمالها ملهما وخلقها هاديا حتى لقد وصفها الروائيون بانها « قطعة من الذهب تشرق عليه من قبار المعارك وضباب الحرب » وكان فى

أشقى أدوار القتال يكتب إليها كلمات الحب والهنام ، فيقول :  
سأنتصر حالا لأنى فى شوق إلى نظرة منك .

وقد وصل تشرشل إلى رتبة القائمقام وصار ياورا للملك  
جيمس الثانى : بينما وصلت زوجته إلى وظيفة الوصيصة فى  
القصر ، وسيطر كل منهما على جهة اختصاصه واستمر نفوذه  
يقوى فى دوائر الجيش ، ونفوذ زوجته فى دوائر القصر ، وبقى  
فى عام ١٦٨٨ إلى رتبة الجنرال وعين فى عام ١٧٠٢ قائدا عاما  
للقوات المتحالفة ضد لويس الرابع عشر ملك فرنسا أو « الملك  
الشمس » الذى كان قد انتزع ميزان القوة فى أوروبا . وأعلن أنه  
هو الدولة ، وأنه لا توجد حدود بين فرنسا وإسبانيا . . فجبال  
البرانس لم تعد ذات موضوع .

### فرنسا وبريطانيا :

كانت معركة بلنهايم من المعارك الفاصلة فى التاريخ ، فقد  
كانت معركة نضال من أجل المبادئ ، ومن أجل التوازن الدولى ،  
ثم أن نتائجها كانت بالغة الأثر فى تغيير الأوضاع إذ حسرت  
النفوذ الفرنسى عن دول أوروبا .

كان لويس الرابع عشر قد بلغ بفرنسا غاية القوة فوجد  
وقعتها صغيرة بالنسبة له ، وهو الذى كان يقول : « أنا الدولة »  
فمد بصره إلى أنحاء أوروبا يتطلب السيطرة عليها ، وكانت فرنسا  
أقوى الدول ماليا وحريريا وإداريا ومعنويا ، وساعد على تحقيق  
مطامعه أن دول أوروبا كانت تعاني مشكلات عديدة ، فإسبانيا كانت  
فى طور تقهقر بعد حربها مع العرب وعلى أثر ما تسلط على أدااتها  
من عوامل الفساد والتعصب ، والمانيا كانت تتنازعها عوامل  
الانقسام والضعف من جراء الحروب العديدة التى خاضتها ،

وانجلترا مفلولة اليد بمشاكلها العديدة وخاصة بعد ثورة الشعب على الملك شارل الأول عام ١٦٤٨ وحكم كرمويل الذى كان لويس يخاطبه بـ « سيدى الوالد » ، ثم ضياع النظام الجمهورى وعودة النظام الملكى .

ولما انتهى عرش انجلترا الى وليم اورانج وزوجته « حنا » بات الحال تستقر والمشاكل تحل . واستدارت بريطانيا تنظر الى اوربا وتناقش فرنسا الحساب .

وكانت انجلترا قد خلعت ملكها جيمس الثانى ودعت وليم اورانج زوج ابنته لتولى العرش ، فهرب جيمس الى فرنسا ولقى تأييدا من لويس الرابع عشر ، وكان ذلك الحادث شرارة العداء بين انجلترا وفرنسا .

وحدث بعد ذلك أن توفى ملك اسبانيا وكان قد أوصى باملاك التاج الاسباني لفيليب دوق انجو - حفيد أخته زوجة لويس الرابع عشر - فذهب الملك الجديد الى عاصمة ملكة مدريد . وكان فى وداعه لويس الذى قال : « لا وجود بعد اليوم لجبال البرانس » ، أى أن فرنسا واسبانيا صارا بلدا واحدا .

وقد اثار هذا الوضع ثائرة ليوبولد امبراطور المانيا فتحالف مع انجلترا ضد فرنسا وانضمت معها هولندا ثم دنمرك . . وكان مارلبورو الضمان الوحيد لفوز المحالفة ، فعرضت الملكة على الحلفاء تعيينه قائدا عاما فوافقوا وأصبح مارلبورو مبعوث العناية لقهر لويس الرابع عشر .

### سر تقدم الانجليز :

أعلنت الحرب بين الحلفاء وفرنسا يوم ٤ مايو سنة ١٧٠٣ ودارت رحاها فى الفلاندر واقاليم الرين العليا وشمال ايطاليا ، واستطاعت جيوش فرنسا أن تحمل على قوات المانيا حملة شعواء

قطعت أوصالها ثم أجدت بجيوش الحلفاء فى أعلى الراين .  
وفى الوقت الذى ثارت فيه هنجاريا على ألمانيا ، فساءت الأمور فى  
معسكر الحلفاء الى حد بعيد .

وأصدر لويس الرابع عشر أوامر حربية - قيل أن نابليون  
بونابرت لم يكن يجرؤ على إصدار مثلاتها - وكانت تقضى بالتزام  
قوات من الجيش الفرنسى الدفاع فى هولندا ، مستندة الى  
حصونها المنيعه ، بينما تشغل قوات أخرى الخط بين هولندا  
وبلغاريا . . هذا على أن تتقدم القوات الفرنسية الرئيسية من  
إيطاليا الى النمسا بطريق اللورين وتزحف على فينا ، وبذلك  
يضطر امبراطور ألمانيا الى التسليم .

هذه هى الخطة الباهرة التى كانت تتضمن القضاء على  
الحلفاء ، وكان مارلبورو كالشهاب الساطع الذى انقض على تلك  
الخطة فدمرها . . فقد فطن الى أهداف عدوه الماكر وأدرك ما فى  
خطئه من دقة وتمويه ، وقدر أن المعركة الفاصلة لن تكون فى  
أرض فرنسا . . بل فى النمسا ، فكان عليه أن يقابل تلك الخطة  
البارعة بأخرى أبرع منها فيضيع على الملك الشمس فرصته  
ويدفع بشمسه الى المغيب .

ولم تكن الخطة الحربية وحدها هى ما يشغل مارلبورو بل  
كان أهم منها المحافظة على معنويات الحلفاء وروابطهم . وهى  
مهمة غير يسيرة وخاصة وهم مجموعة من الضعاف ازاء قوة  
متفوقة . ولهذا شهد له خصمه بولنبروك ، فقال : « أن مارلبورو  
أحرز نفوذا أقوى من نفوذ التاج وذلك عن جدارة ومقدرة ، فانه  
بفضله بقيت المحالفة وتوثقت وتغلبت على خصمها العنيد . . ان  
مارلبورو أعظم القادة الذين أنجبتهم إنجلترا » .



وبدا النزال ، وكان مارلبورو هادىء الروع رابط الجأش ،  
ولو ثارت البراكين . وساعدته هذه الصفات التى يعتبرها فولتير  
مر تفوق الانجليز ومصدر قوة انجلترا وسيادتها فى الدنيا .

### المعركة الاستراتيجية :

نظر مارلبورو فى خريطة أوروبا وأدرك خطر المسئولية التى  
يحملها ، فاذا هو لم يضرب ضربته فى الوقت والمكان المناسبين  
فسوف يكون مآل خريطة أوروبا أن تطوى فى درج مكتب لويس  
الرابع عشر . . عدة سنوات .

وكان الفرنسيون ينتظرون أن يشتبك الانجليز معهم فى  
الفلاندر ، ولكن القوات المتحالفة تحركت تحت قيادة مارلبورو  
بعيدا عن تلك الساحة ، وانطلقت فى وادى الدانوب والقيادة  
الفرنسية فى حيرة من أمر تلك التحركات ، ثم عبر مارلبورو  
الدانوب وانضم الى الجيش الألمانى تجاه القوات الفرنسية  
والبافارية المقيمة بين بلانهم ولوتزنجين .

فهو لم يقبل المعركة التى استعد لها لويس ، بل ذهب الى  
المعركة التى لم يستعد لها ، وهنا كانت المفاجأة .

ويقول المارشال ويفل أن براعة مارلبورو فى تلك العملية  
ليست بذات نظير ، فاذا كان هناك من يدرك كيف كسب معركة  
بلانهم فإن كثيرين يقفون مشدوهين أمام التدابير الإدارية التى  
جعلت السير الى بلانهم ممكنا . . فقد كانت معركة خطط  
وتقديرات واستراتيجية وتكتيك وشئون إدارية . . وقد وفق  
فيها جميعا .

لقد أحس مارلبورو بالخطر فى فينا وقرر الأسراع لمساعدة  
البرنس أوجين وأعلن أنه سيهاجم فرنسا على نهر الموزل ، فلما

وصل الى كوبنز استدار فجأة واتجه الى مينز ثم تحرك جنوبا  
بشرق الى الدانوب وواجه القوات الفرنسية المتحفزة تحت قيادة  
المارشال تيلار .

### بلاenheim الفاصلة :

كان ميدان المعركة على ضفتي نهر بنيسال بين لوتزنجين  
وبلاenheim وكان للجيش الفرنسي التفوق العددي في المشاة ( ٦٠  
الفا مقابل ٥٤ الفا ) وفي المدفعية ( ٦٠ مقابل ٥٢ ) ووقف  
المارشال تيلار على رأس الجيش الفرنسي في جبهة بلاenheim  
والمارشال مرسين في جبهة لوتزنجين وبينهما قوات بقيادة برنس  
مكسيمان . وفي الجبهة المقابلة كان أوجين يواجه مرسين ،  
ومالبورو يواجه تيلار مكسيماليان .

بدأت المعركة يوم ١٣ اغسطس سنة ١٧٠٤ بهجوم مالبورو  
في قلب القوات الفرنسية - ففصلها ، فاضطر البافاريون الى  
الانسحاب غربا ، فأسرع خلفهم البرنس أوجين واستمر في إبعادهم  
وبذلك ضاع الأمل في الضغط على ألمانيا ، وتم انتقاد فينا .

وقد اختار مالبورو أضعف نقطة من خط العدو وقصصه  
ايضا فصل القوات فلما نجح في الاختراق دار بالجناحين  
فسحقهما بعد معارك هائلة ووقع كثير من القوات الفرنسية في  
الأسر ودخل الحلفاء ألم ، ولاندو ، وترايباخ . وأبدى مالبورو في  
هذه المعركة من الشجاعة والفتانة ما أحله في مصاف كبار القادة  
وجعلت منه بلاenheim بطلا شهيرا .

هذا هو الجندي الدبلوماسي الذي يعتبره ويفل أعظم قائد  
في التاريخ .

# جورج واشنطن

الأول في الحرب ، والأول في السلم ، والأول  
في قلوب مواطنيه

يعتبر الأمريكيون جورج واشنطن أبا لهم ، فهو قائد الجيش  
لأمريكي إلى النصر في حرب الاستقلال وهو أول رئيس للولايات  
المتحدة أرسى أساس استقلالها ووحدتها ووضع دعائم المركز  
العظيم الذي أحرزته الولايات المتحدة في العالم .

كان واشنطن رجل حرب وسياسة ، يقرب إلى مواهبه  
العسكرية خصائص السياسي الحصيف ، وقد نجح في المعركتين  
معاً ، فاعتبره العسكريون أعظم قواد أمريكا الذين قادوا بلادهم  
إلى الفوز في معمران الحزب . واعتبره السياسيون أحد ثلاثة  
كانوا أعظم قطبان البيت الأبيض .

ولعل أقيم ما في واشنطن أنه كجندى لم يخط طريق الحرب  
لشهرة أو لشهوة الفوز وإنما كانت دوافعه دائماً « الدفاع عن  
الوطن » وأنه كسياسي لم يعمل لنفسه وإنما عمل لوطنه . فلما

استقرت الأمور وانتظمت الأوضاع السياسية رفض الموافقة على تجديد انتخابه رئيسا للولايات المتحدة للمرة الثالثة .

لقد كان جورج واشنطن مزارعا ناجحا وكان همه الاول تحسين انتاج مزارعه وتنمية ثمارها ، وكان قبل ان يولى الزراعة كل اهتمامه ، جنديا ومساحا على الحدود ولكن كان محبا للسلم محافظا شريفا مستقيما ثم صار قائد الجيش الأمريكى مدى سبع سنوات بغير اجر كما كان الركن الذى اعتمد عليه الشعب حين حلت به الكوارث واحاط به أعداء ناقمون .

### الى الحرب :

وقد نفى يده من الزراعة على كره منه عندما دوى نفي الحرب ونهض من قوره يحارب بعزيمة صادقة ويشارك جنوده مهلهلى الشياب حفاة الأقدام ، فيما عانوه من البرد والجوع والويلات فاذا انتهت المعركة عاد الى المزرعة ، وهكذا كانت افكاره فى الحرب ، وبالمثل كانت افكاره فى السياسة ، فعندما دعاه الواجب ان يذهب الى البيت الأبيض صدع بالرغبة وادى مهمته خير أداء فحقق لأمريكا أعظم نجاح اثناء رياسته للجمهورية الناشئة وبانتهاء هذه المهمة العظيمة رفض تجديد انتخابه وعاد الى مزارعه ليحيا فيها حياة رجل السلام .

ومثلما فعل فى فاتحة حياته حين ترك حملة الريفى الى ساحة القتال ، فعل فى آخر أيامه ، وبعد ولايته لرياسة الجمهورية مرتين ، فلم يقبل أن يظل قاعدا بين زهور المجد وذكريات البطولة حين اضطربت الامور بين فرنسا والولايات المتحدة عام ١٧٩٨ وانما نهض ليتولى قيادة الجيش حتى مرت الأزمة بسلام ، وهكذا كان جورج واشنطن - كما أعلن مجلس الكونجرس - الاول فى الحرب، والاول فى السلم . والاول فى قلوب مواطنيه .

ولقد أحرز واشنطن هذه المكانة فى قلوب مواطنيه لأنه كان أمينا فى خدمتهم ، كما أنه كسب مكانته بين جنسوده لأنه كان

يحارب معهم ويقف بين صفوفهم ويتقدم الى المعمان مثلما كانوا يعملون . . . ولهذا ظلت سيرته عاطرة واسمه لامعا رغم مرور عشرات الأعوام ، ولقد ذهب بعض المؤرخين الى القول بأن جورج واشنطن كان يمثل نوعا جديدا من العظمة الانسانية وانه كان نسيج وحده .

وقد عرف العالم قبل جورج واشنطن قوادا عظاما كالاسكندرو وفردريك وغيرهما ولكن اكثر القواد العظام كان ينشد الحرب للفوز ويسعى للفوز وعلو الصيت ، اما واشنطن فلم يحارب قط الا دفاعا عن وطنه ، فاذا تم له ما اراد عاد الى مزرعته تحت ظلال السلم الذي احبه دائما .

لقد عرف العالم سياسيين بارعين وحكاما قديرين نجحوا بالسياسة والدهاء فقوضوا العروش وتحكموا في مصائر الشعوب اما واشنطن فلم يسع الى الحكم ولم يهدم احدا ، وانما دعت امرىكا الى البيت الابيض وهو زاهد فى ذلك ، فلما قام بواجبه وخدم امته اجل الخدمات رفض ان يظل رئيسا الى الابد ، وغادر البيت الابيض الى مزرعته راضيا مستريح الخاطر .

فهو رجل عاش لوطنه مزارعا وقائدا ورئيسا للولايات المتحدة ، وكان فى جميع هذه الحيات هو هو فى رضاء الضمير واداء الواجب وخدمة البلاد .

وكانت شخصيته بسيطة غير معقدة وقلبه مليئا بحب وطنه ، فكان المزارع الوطنى والجندى الوطنى والسياسى الوطنى ، ولم تعرف عنه هنة من هنات رجال السيف او السياسة لانه لم يطمع فى شىء لنفسه ولم ينظر الا بعين مصلحة وطنه .

### قائد بالفطرة :

وقد عرف واشنطن ميدان الحرب فى حدائته وخبر اساليب الهنود فى قتال الغابات ودرس التكتيك الفرنسى فى اعمال



التحصين والدفاع ، ولهذا كان واشنطن جنسديا مدربا قبل أي أمريكي آخر عندما بدأت حرب الاستقلال .

وكان واشنطن رجلا نبيلًا ، جنتلمان رفض الاتجار في العبيد رغم شيوع هذه التجارة ، وعمل على ترقية وسائل الزراعة وتزوج مبكرا وكانت سمعته نقية وشخصيته محبوبة ولم يكن يقض مضجعه غير تفلغل النفوذ البريطاني في بلاده .

ولما لم تعد مندوحة من قتال الانجليز لاجلائهم عن امريكا التقت الأنظار عند الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يقود القوات الأمريكية فعين واشنطن قائدا عاما في يونيو عام ١٧٧٥ .

ولم تكن مهمة واشنطن أن يتولى القيادة فحسب فقد كان عليه أن ينهض بواجبات أخرى كثيرة ، فالأمر لم يكن متوقفا على كفايته العسكرية كقائد ، كان على واشنطن أن ينشئ جيشا ، فالقوات التي كانت بين يديه لم تزد على كونها مجموعات غير منتظمة ولا مدربة ، وكانت من ولايات مختلفة يميل كل فريق منها الى الدفاع عن ولايته دون غيرها بادية ذي بدء . . وكان الأمر يقتضي انشاء جيش وطني بمعنى الكلمة يعرف أن المعركة لأجل الولايات كلها ، وقد تمكن واشنطن من تحقيق ذلك في مدى عامين ، وراح ينفق الساعات والأيام في تنظيم ذلك الجيش وتسليحه وتدريبه لكي يواجه الجيش الانجليزي .

### الشئون الادارية :

وكان على واشنطن أن يصرف وينظم مسائل التموين والاعاشة فلم تكن هناك أنظمة موضوعة ولا ادارة خاصة لشئون الامدادات والتموين . وقد كان من حظ الأمريكيين أن وقع في أيديهم في مستهل الحرب عدة معامل ومخازن انجليزية ومع كل مجهود بذله واشنطن فقد ظل الجيش البريطاني أكثر تنظيما من ناحية المواصلات والتموين رغم مئات الأميال التي تفصل الجيش عن

انجلترا .. وكذلك كان على واشنطن ان يواجه الوضع السياسى للولايات التى اتحدت تحت لوائه دون ان تكون متحدة فى شئونها كافة .. واحوج ما تحتاجه الحرب « الوحدة » : وحدة الرجال ووحدة النضال ، وكانت مهمة واشنطن دقيقة وشاقة للتقريب بين وجهات النظر وتوحيد الجهود ، فان اثار كل قوم لصالح ولايتهم كان يزيد من أعبائه .

وقد حمل واشنطن العبء كاملا ، وعمل بكل نشاط وهمة فى ميدانى العسكرية والسياسة ولكنه كان أمام عدو أكثر عددا ونظاما وعتادا وهيبة فبدأ القتال بارتداد واشنطن الى نيوجرسى وكانت هزيمة مكدره كادت تقضى على كل أمل لولا ما بذله من جهد وما اتاه من براعة فتفادى أزمة بعد أزمة وخرج من معترك فى اثر معترك دون أن تاتى النهاية .. وعندما كانت الدائرة تدور عليه ويكاد الأمل يتبدد ، كان واشنطن يفلت بجيشه من براثن الخطر ، فلم يياس قط ولم تفارقه الزكانة ولا البراعة فى تفادى الكوارث ، وهنا محك القائد العظيم .

وكانت خطة واشنطن فى انسحابه من نيويورك أن يعرقل تقدم العدو بكل وسيلة فاستخدم الأنهار التى فى طريقه ، وكان يعبر أحدها ثم يعسكر على الشاطئ الآخر لصد التقدم الى أطول مدة ممكنة ثم ينتقل الى مانع آخر ، وبهذا كان تقدم الانجليز بطيئا ومحفوفا بالمكاره ، ولو لم ينجح واشنطن فى عملية الانسحاب لقضى على جيشه ، وانتهت أمريكا الى يد انجلترا عصرا آخر .. ولكنه استطاع ان يفلت من قبضة أعدائه كلما أوشكت على الظفر به .

### الجرأة والفتنة :

وكان لا يترك فرصة تسنح له حتى يغتنمها بمهاجمة الانجليز وتكبيدهم الخسائر ومن ذلك أنه عبر نهر الدولير فجأة على رأس قوة محدودة العدد وهاجم الانجليز واصابهم بخسائر فادحة ثم

عاد الى خطوطه ومعه ألف أسير . . قبل أن يفيق العدو من هول المفاجأة ! كذلك كان انتصاره في معركة بريستون دليل الكفاية العسكرية التي تبدد السحب الكثيفة والظروف السيئة . كانت معركة بريستون التي انتصر فيها واشنطن على تجريدة انجليزية معركة صغيرة ولكن رائعة وقد برز فيها جامعا بين جراءة الدوق وليم وذكاء مارلبورو ، كما أظهرت أهمية الجمع بين ضروريات القيادة ومقتضيات السياسة .

لم تكن الولايات امة واحدة ولكن ثلاث عشرة ولاية مستقلة ، ولم يكن الكونجرس يؤدي واجبه تماما في هذه المرحلة الخطيرة فكاد أن يتسبب في خسران الحرب ، اذ انه لم يصدر الاعتمادات اللازمة للجيش بالسرعة المطلوبة وكان يزسسل رواتب الجنود متأخرة كثيرا وبغير نظام ولم يتخذ الاجراءات الكفيلة بإمداد وتموين الجيش في الميدان ويرجع السبب في كثير من الأخطاء التي حدثت والتقصير الى الانانية ونظر كل فريق الى مصلحة ولايته .

ولما نجح بنيامين فرنكلين في عقد المحالفة مع فرنسا ، كانت صفقة رابحة ليس فقط من أجل الرجال ولا المال بقدر ما كانت مهمة من الناحية الحربية ، فقد جاء الأسطول الفرنسي للعمل ، الأمر الذي استطاع معه قطع مواصلات بريطانيا وامتداداتها البحرية ، وقطع خط الرجعة أيضا على الجيش الانجليزي في حالة الهزيمة . وقد ظهر خلاف في وجهة النظر بين الضباط البحريين الأمريكيين والفرنسيين فافرغ واشنطن كل كياسته وبراعته وتمت الخطة التي ارادها ووقف الأسطول الفرنسي لقطع مواصلات البريطانيين وخط رجعتهم ، وبهذا تحقق الفوز .

### البيت الأبيض :

ولم يكن واشنطن من الراغبين في توجيه الضسوء الى اشخاصهم . . ومع هذا فعند انتهاء الحرب كان كل أمريكي يعلم

إن هذا الرجل هو الذي أحسّرُ النصر وإن أمريكا مدينية له  
بإستقلالها . ولقد حارب بشخصه وأنشأ جيشا من العدم وعلم  
الكونجرس واجباته وهو يظهر أنه خادم الكونجرس ومنفذ أوامره  
وعندما أنتهت الحرب أراد واشنطن أن يعود إلى مزرعته في  
مونت فرنون ولم يكن له أى أطماع . . . كذلك عادت الولايات إلى  
شؤونها الخاصة ، كأنما انتهى الخطر إلى الأبد ، وكأنما لم تتحدد  
إلا في وقت الحرب . . . ولكن كانت هناك واجبات كثيرة لإبد أن  
تقضى وأعمال عظمى يجب أن تتم ، فالقوانين يجب أن تعدل ،  
والتعاون يجب أن يستكمل والحكومة المركزية يجب أن تنهض .  
هنا دارت الأنظار جميعها ثم التفت عند الرجل الذي قاد الأمريكيين  
إلى النصر في الحرب ، فهو . هو نفسه الذي يستطيع أن يقودهم  
إلى العظمة في السلم .

وقد انتخب واشنطن رئيسا للجمعية التي أنيط بها وضع نظام  
الدولة ودستورها وبعد سنتين سنوات بدأت الولايات المتحدة  
تسير في الطريق الصحيح للحياة المدنية والسياسية وقد أقامت  
واشنطن رئيسا للولايات المتحدة بالإجماع في ٣٠ أبريل ١٧٨٩ .  
وقد نجح الرئيس السياسى مثلما نجح الرئيس العسكرى .  
وأصبحت رئاسة الولايات المتحدة أهم شيء يراه السياسيون  
ليس في أمريكا وحدها ، بل في العالم كله .

# نابليون بونابرت

لم يحدث لرجل أن يتحكم في مصير بلده وجيله ويؤثر في مصائر الأجيال التي جاءت بعده كما حدث لنابليون ، فهذا الضابط الصغير الذي امتاز بقوة شخصيته ، ومضاء عزمته وطموحه الهائل قد أهله عبقريته العسكرية لأن يكون قائد فرنسا وامبراطورها ، وأن يواجه أعظم القوات الحسرية في زمانه - متفرقة ومجتمعة - فيديقها مرارة الانتكاس .. ثم يقولون ان نجاحه كقائد لم يبلغ نجاحه كحاكم ورجل دولة ونظام وقانون ومدنية .

ولد نابليون في ١٥ أغسطس عام ١٧٦٩ في اجاكسيو بجزيرة كورسيكا ، ونشأ نشأة عسكرية وصار ضابطا في عام ١٧٨٥ وعندما نشبت الثورة الفرنسية تفتحت آماله ونشطت عزمته وأعجب بالثورة ومبادئها ولكنسه لم يعجب بالقوضى التي حلت بفرنسا والجرائم الشنيعة التي كانت ترتكب باسم الحرية والاخاء والمساواة .



وعندما واثته الفرصة سارع اليها واصبح الكابتن بونابرت قائدا للمدفعية في حصار طولون عام ١٧٩٢ وكانت قد ثارت واعتصمت بمعونة الانجليز .

### الوقت كالسيف :

ووقف الضابط الشاب أمام المدينة التي شقت عصا الطاعة وقال :

« الآن أصبح طرف الحبل في يدي .. ساحتفظ به جيدا في قبضة قوية » : وصار يضع خطة لم يكن مثلها معهودا في ذلك الزمان . فهي خطة محفوفة بالمكاره او هي مغامرة لا ترضى اذواق الجنرالات : « سافصل القوة البريطانية والثوار عن الأسطول » وسأوجه مدفعيتي بين البر والبحر ثم أقذف المدينة بوابل من النيران .. فيقع الفار في المصيدة » .

وقال نابليون « ان الوقت هو اهم شيء » .

هذا هو مقاله اليوزباشي ، ابن الرابعة والعشرين ، للجنرالات في باريس وقالوا : هذا هراء .

ونجح الهراء وانسحب الانجليز في ليلة واحدة ، كما توقع صاحب الهراء ، وكان هذا اول نصر حربي يحصل عليه ، وحصل معه على رصاصة في قدمه وجرح بسيط .

وقال التاريخ : هذا نجم جديد في سماء الحرب .

لميت فينا نابليون وقال : ساشق طريقى بحد السيف .

### الصبر والشجاعة :

« ايها الجنود :

انكم مغلوبون على امركم مظلومون في طعامكم وملبسكم ، وقد وعدتكم الحكومة بالشئ الكثير ولكنها لم تفعل شيئا لاجلكم ، ان صبركم وشجاعتكم قد اولتكم الشرف ولكنها لم تجيء لكم بخير .

اننى ساقودكم الى اغنى وديان العالم ، الى الاقطار الخصبة والمدن العظيمة .. هناك ستجدون المال والمجد والشهرة » .

بهذا الخطاب الداوى الذى القاه نابليون على جنود نصفه صراة جوعانين ، ارتفع الستار عن فصل من الكفاح العسكرى المرير لتقرير مصير العالم عشرات السنين .

فى تلك السنوات المضطربة الحافلة بالانتصار والانكسار لفرنسا وغيرها من دول العالم كان نابليون البطل الاول على مسرح التاريخ . كان القائد الملهم والحاكم المعلم .. واذا كانت حياته العسكرية قد انتهت بمأساة فان اعماله التنظيمية والقانونية بقيت الى يومنا هذا وستبقى بعدنا شاهدة بنبوغه وعبقريته .

اصبح نابليون جنرالاً فى عام ١٧٩٦ وقاد حملة تاريخية ضد النمسا وايطاليا وهو فى سن السابعة والعشرين على رأس جيش ، او على الاصح بقايا جيش . واستطاع ان يدفع فى هذه البقايا الواهنة روح الغلبة والنصر والفخار وان يهزم بها دول أوروبا . فآين كانت قوة نابليون بونابرت ؟

### الشباب والصحة :

لقد بحث هذا السر كثيرون من المؤرخين والمعنيين بالتراجم ، ومنها الكاتب العالمى المعاصر اميل لودفيج ، الذى بحث الموضوع من زاوية جديدة ، قال :

١ - ان اول اسرار نجاحه : شبابه وصحته .

كان يتحمل الركوب ساعات طويلة بلا اعياء ، القدرة على النوم فى أى لحظة ، المعدة التى تستطيع ان تهضم كل شىء ، الالمعية التى ترى ماوراء غبار المعركة .

٢ - ان الثوبة ضربت بالروتين مرض الحائط ، فجعلته جنرالاً ، فهى كانت تقدر الناس بأعمالهم لا بسننهم .. ومن هنا بدأ .

٣ - أن خصومه في المعركة كانوا دونه في كل شيء .

\* الأرشيديوق شارل ، الأرستقراطي الناعم ، كيف له بتحمل المشاق كما يتحملها ذلك الكوربيكي العنيف .

\* جنرال بوليو ، القائد النمساوي ، كان في الثانية والسبعين بينما كان نابليون في السابعة والعشرين .

\* جنرال كولي ، كان مريضاً بالنقرس ، يحملونه على نقالة أثناء المعركة - « الفنتري ، في الخامسة والستين » .  
\* « ورفر » ، أطرش بطيء الفكر والحركة .

فماذا كان يستطيع هؤلاء أمام قائد شاب دائم الحركة دائم النشاط يركب جواده عشرين ساعة وينقل مركز رئاسته كل يوم ويعتمد على ضباط شبان ويقول : « الوقت هو كل شيء » .

كان أكبر معاوني نابليون سنا الجنرال برتيه في الثامنة والأربعين من عمره وقد استبقاه لأنه كان على علم ببواطن الأقطار الأوربية ، والجنرال مسينا الذي خدم ١٤ سنة في الجيش ولم يبلغ إلا رتبة الباشجاويش فجعله نابليون بعد عدة أسابيع جنرالاً . كان نابليون لا يرقى إلا الضابط الشجاع .

لقد رقى أحد رماة القنابل بعد ثلاث معارك إلى رتبة القائمقام ، واستغنى عن جميع الجنرالات ، الذين يعملون كل شيء . . . ولكن في المكاتب فقط .

٤ - أن نابليون كان يعتبر نفسه قائد « جيش الشعب » وهذا تعبير ثوري يرضى الجنود ويلهب الجماهير . أما جيوش خصومه فكانت جيوشاً محترفة ، تنطق ست لغات مختلفة .

وكان الجيش الفرنسي قد أشرب روحاً جديدة فهو يمثل ثلاثين مليون فرنسي . وهو يحارب من أجل حرية الجمهورية إذاعة مبادئ الثورة الفرنسية ويقاوم لصد قوات الملكية الشرعية . . . كان الفرنسيون محاطين بأقطار الملوك والباطرة

الذين يريدون ابقاء شعوبهم بمنأى عن مبادئ الثورة ، ويعملون  
المستحيل للقضاء عليها ، ولهذا شرعت فرنسا في الهجوم ،  
كوسيلة من وسائل الدفاع عن النفس . .

اي أنهم صاروا غزاة رغم انوفهم .

وهذا هو العامل الرابع فى نجاح نابليون « الهدف » .

كان يلقى المنشورات قبل قذائف المدافع ليقول لأهالى لبارديا  
وايطاليا أنه جاء يخلصهم من الدل ويحررهم من آل هابسبورج  
وملوك سردينيا والدوقيات والاقطاعيات ، فتهيأت الاقطار  
لاستقباله ووجدت أملا فى انتصاره . . وهكذا اجتازت مبادئ  
الثورة الحدود قبل أن تجتازها الجيوش . . كان هناك طلاب  
الحرية ينتظرون نابليون . والمعدبون فى الأرض ينتظرون نابليون .  
ثم انه كان من دم ايطالى ، ويحمل اسما ايطاليا ، فأجبه  
الايطاليون ، ولم يكن فى نظرهم غازيا فرنسيا ، بل رجل حرية  
ومساواة ، وكانت خطابهاته تحمل دائما هذين المبدأين ، وكان لايفتا  
يذكرهم بمجد أثينا واسبرطة وروما .

وكان يقول لجنوده فى بعض أوامره اليومية :

اقسموا لى أن تحافظوا على الأهالى الذين سنحررهم ، فلا  
تكونوا سوط عذاب ، اننى وجنرالائى لاأقبل قيادة جيش لايعتصم  
بالشرف ويعتز بالنظام والضبط والربط .

وأعطى أمرا للقادة باعدام من يخفى شيئا منهوبا من الأعداء  
وكان مطالعا فى التاريخ وقد قرأ وهو برتبة الملازم كتاب «بلوتارك»  
عن حياة العظماء ، وقرأ تاريخ العالم وتاريخ ايطاليا وحكامها  
ونظمها وطبائع أهلها . لقد أصبحت المعارك البسيطة بفضل كلماته  
معارك عظمى ، وصارت المعارك قسما من تاريخ العالم .

ان نصف ما أحرزه نابليون من انتصارات . . أحرزه بكلمات

انظر خطابه الى جنوده فى ميلان :

« ايها الجنود .. لقد انتفضتكم كالسيل الجارف من مرتفعات  
الابنين فصارت ميلان لكم ، اننا اصدقاء الاهالي . اصدقاء احفاد  
برنوس وسيبيو والآخرين من الأبطال الخالدين . سنعيد بناء  
العاصمة ونقيم تماثيل الأبطال ونوقظ الشعب الروماني الذي عاش  
قرونا في ظلال العبودية .. هذه هي ثمرات انتصاراتكم ثم تعودون  
بعدها لدياركم ، وسيشير جيранكم على أحدكم قائلا بفخار : « لقد  
كان مع الجيش في ايطاليا » .

فهل سبق لقائد أن وجه مثل هذه الكلمات لجنوده ..  
للاهالي .. للاصدقاء .. للاعداء .. ان نابليون كان يعرف كيف  
يسيطر على الناس من ناحية مراعاة شعورهم واذكاء اسباب  
الاقتناع ، وليس بأسلوب الاخضاع .

لقد استطاع بوناپرت بسن القلم ان يثبت الانتصارات التي  
احرزها بحد السيف .

**الجيش يقول :**

سارت حملة نابليون على ايطاليا بطريق الالب الشاقة وكان  
جيشه كما قدمنا قليل المؤن والدخائر بيد انه كان قويا في روحه  
المعنوية مشتعل الحماسة ، فما أن نزل في السهل الأعظم حتى  
مزق شمل أعدائه في موقعه « مونتوت - ابريل عام ١٧٩٦ » .  
وما زال يتتبع السردنيين حتى نفضوا أيديهم من محالفة  
النمساويين وتخلوا عن نيس وسافوي في ابريل ١٧٩٦ . ثم اتجه  
الجيش الفرنسي الى غريمة ، فارتد بوليو أمام العاصفة تازكا سهل  
لومبارديا مفتوحا أمام نابليون الذي دخل ميلان ثم منتوا التي  
استسلمت بعد معركة قاسية ، فواصل زحفه الى فينا .. واضطر  
النمساويين الى التقدم بطلب الهدنة .

وكتب نابليون الى حكومته في باريس يقول :

« تلقيت مشروع معاهدتكم مع سردينيا ، لقد وافق عليها

**الجيش » .**



وصمق رجال الحكومة من هذا الأسلوب ، اذ لم يعرف من قبل ان قائدا في الميدان واجه حكومته بمثل هذا التصريح .. وقال خصومه في باريس - من اجل هذا الخطاب ! - يجب ان يقف هذا البطل الصغير امام جماعة ضرب النار ..

ولكن حال دون ذلك شهرة اسم نابليون وانتصاراته ، والمجد الذي احرزه فاتح لومبارديا .. فاصبح بمنجاة من البطش . واخذ نابليون يعمل بسرعة فقد كان يقول : قد اخسر المعركة ولكن لن يرانى احد اخسر بضع دقائق .

وكانت اول معركة كبرى هي : لودى .

عملية خداع متقنة ، وحركة جسورة عصففت بالقوات النمساوية التى فوجئت بالهجوم .. لقد نال فيما بعد انتصارات اعظم شاوا ، ولكن انتصاره هذا الرائع لم يكن له مثيل لما احدثه من اثر في الروح المعنوية ، فبدأ يرى بوضوح طريق المجد .

لقد قررت « لودى » مصير القسم الاول من الحملة ، واظهرت بوضوح علامات عبقريته العسكرية ، فاختلطت الأحلام بالحقائق والخطط المبهمة بالأعمال الباهرة .. « اننى تنبعت بعد معركة لودى الى اننى انسان ملهم ، ويومها كان بداية تحقيق آمالى فى ان اعمل شيئا عظيما مما كان يبدو اى فى الماضى أضغاث أحلام » نعم كان يدور برأسه غزو قارتين او ثلاث ، ولكن كان يدور برءوس الكبار فى باريس وقف نابليون ، وكانت اول خطوة لذلك ارسال الجنرال كارمان ليشاطره العمل .

### قائد واحد :

وقد كتب نابليون لحكومته بصراحة انه يفهم انها تضع فى طريقه العراقيل وقال : « قد يكون الجنرال كارمان قائدا ممتازا يستطيع ان يعمل شيئا حسنا ، ولكننا - ونحن لانتفق معا - سنعمل شيئا رديئا .. لا يمكن ان تكون المسئولية مجزاة ، واننى استعيز

بشجاعتى لتحرير هذه الكلمات التى قد تفسر بانها من نتاج المطامع والعظمة .. اننى لا استطيع ان يعمل الى جانبى قائد يعتبر نفسه احسن جنرال فى أوروبا .. ان قائدا رديئا افضل من قائدين ممتازين » .

لقد رفض نابليون ما ارادته الحكومة من تعيين قائد معه ، ووصل الى باريس رده الحاسم : لا .

وفى اليوم التالى تحرك الى ميلان ، وهناك حيته الجماهير فخطب فيهم قائلا :

« ستكونون احرارا وفى مامن اكثر من الفرنسيين انفسهم » ستكون ميلان عاصمة الجمهورية الجديدة ذات الخمسة ملايين ، وسأختار منكم خمسين رجلا لحكمها باسم فرنسا .. ان اثينا واسبرطة لم يذهبا الى الأبد . »

نعم من عهد بلوتارك وابطاله لم يأت قائد كنابليون يقول مثل هذه الكلمات . كان نابليون يرى الجمع بين القيادة العسكرية والسياسية والمالية أثناء الحملة : « يجب ان توضع الثقة كلها فى قائد واحد ، لا يتدخل أحد فى عمله ، أن امامى ان افعل كل شىء بجيش ضعيف ، لابد أن ادفع القوات الجرمانية ، وأزيل الحصون ، وأحفظ خطوط مواصلاتى ، واستولى على جنوة وفرنسيا وتوسكانى وروما ونابلى واثبت قوتى هنا وهناك ، وفى كل مكان . ولهذا فلا بد من توحيد جميع القوى العسكرية والسياسية والمالية فى يدى . »

اذ لم يكن الجنرال هو المركز الرئيسى القوى ، فان الجيش يتجه نحو الهوة » .

### حكومة المحامين :

كانت الحكومة فى باريس تحتفل بالنصر ، وتاتمر بالمنتصر . وهنا حاول نابليون ان يحصل على امداد ومؤن ، وكانوا

يتداولون في أمره وكيف يقضون عليه قبل أن يقضى عليهم .  
فانه يحرز النصر ، ويتفق على الهدنة « فاذا عاد الى باريس بطلا  
فاتحا فسوف يدفعنا بيد واحدة ويأخذ الحكم باليد الأخرى » .

وكتب اليهم نابليون محذرا ومنذرا :  
« باسم ثمانية آلاف رجل احذركم وأقول لكم : ان الوقت الذي  
كان حفنة من المحامين يستطيعون فيه السيطرة على مصائر  
آلاف الجنود وسوقهم الى المذبحة .. قد انتهى ولن يعود » .

فباسم الجيش انتصر نابليون ، وباسمه أجاب طلب الهدنة .  
وقد تم عقد صلح كامبو فورميو في أول اكتوبر عام ١٧٩٧ وبه  
تخلت النمسا عن كل املاكها في ايطاليا ، وكسبت فرنسا نصرا  
عظيما .

### الى الشرق :

لقد استطاع نابليون ان يحقق حلمه الذهبى بفزو ايطاليا  
وقهر النمسا ، فهل كان ذلك نهاية الحلم ؟ .. لا ، ليست هناك  
نهاية ، فكل خطوة تفتح بابا جديدا من ابواب الأمل .. كان ينظر  
الى الأفق البعيد ويرنو الى القسطنطينية فيصبح مالكا لدولة أعظم  
رقعة من ملك آل هابسبورج .

( اننى ذاهب الى الشرق للاستيلاء على مالطة ومصر ، وطرد  
الانجليز من شاطئ البحر الأحمر . وفتح قناة السويس ) .  
تسرى .. هل ذهب نابليون الى الشرق ليفعل ما فعله  
الاسكندر فيصبح قاهر الدنيا ام اراد هدم سيادة بريطانيا ؟ ..  
يبدو انه اراد الهدفين معا .

وتحركت الحملة من طولون يوم ١٩ مايو سنة ١٧٩٨ .  
وكان في طريقه الى الميدان الجديد يقرأ : رحلات في مصر ؟  
حياة بلوتارك كتب هوميروس ، معارك الاسكندر . القرآن  
الكريم .

وهناك في صحراء مصر وقف امام تمثال « أبو الهول »  
العين في العين والصمت متبادل ، ولكن فكره كان يقول  
هنا وقف الاسكندر من قبل ، وقيصر ، وها انذا في مكانهما  
الخالد « ان اربعين قرنا تنظر الينا من قمة الاهرام » .  
ولم يكن غزو مصر عسيرا . وهو لم يأت لها بالسيف وحده  
ولكن جاء بالعلماء والاختصاصيين يغيرون نظام الحكومة وينشرون  
العلم ويقيمون دعائم المدنية الحديثة . كان يدفع قسواته الى  
القتال واراقة الدماء ، ويوجه معاونيه الى البناء واقامة العمران .

### موقعة النيل :

كان الانجليز لنابليون بالمرصاد ، واذا كان قد غافلهم وشق  
طريقه في البحر عجبا الى وادي النيل فان في استطاعتهم حصاره  
ولم يلبث اسطولهم البريطاني حتى اقبل على « ابوقير » وفاجأ  
المراكب الفرنسية في معركة سريعة قضت عليها وقطعت طريق  
الاتصال بين فرنسا وجيش الشرق ، فلما سمع نابليون بهذا  
النبا الصاعق قال : « اذن قد اصبحتنا محصورين في مصر » .

وراح يفكر : لو أنني تركت هنا خمسين الف جندي واخذت  
معي ثلاثين الفا ، لافتح الهند ؟

وقطع عليه حبل تفكيره اعلان تركيا الحرب على فرنسا وعزم  
الحكومة التركية على تبخير جيش الى سوريا وآخر الى  
الاسكندرية بمساعدة بريطانيا فاضطر نابليون الى ان يعمل بسرعة  
لمباغطة خصومه في سوريا ، فخرج الى العريش ومنها زحف الى  
قزة ويافا ثم حاصر عكا وكانت « بندقية صعبة الكسر » فان  
معدات الحصار كانت قد وقعت في ايدي الانجليز فلم يفلح  
نابليون في فتح عكا واضطر للعودة الى مصر للاقاة القوات التركية  
التي نزلت في الاسكندرية .

وفي يوم ٢٥ يوليو ١٧٩٩ فاجأ بونابرت هذه القوات وبسدر  
شمها عند ابي قير ، وقال الجنرال مورا لقائده نابليون :  
« ايها الجنرال : انك كبير كالدنيا . ولكن الدنيا صسغيرة  
بالنسبة لك .

### السيف والرمح :

اضطرب حبل السلام في اوربا وتحالفت روسيا وانجلترا  
والنمسا ضد فرنسا واشتبكت فرنسا في حرب مع نابلي  
وسردينيا ، ففكر نابليون في العودة سرا ، ولو بغير انتصار ،  
وكانت فرنسا في حاجة اليه لدفع الفوضى التي بدأت تدب في  
اوصالها وارغمت حكومة الادارة على استدعائه فلما عاد الى وطنه  
وجد « الكمثرى ناضجة » فانضم الى جبهة الزعيم « سيس »  
الراس ، ونابليون اليد فحدث انقلاب « برومير » ارغمت حكومة  
الادارة على الاستقالة وتدخل الجيش في تطهير مجلس الشيوخ  
والنواب وتألفت حكومة مؤقتة لادارة شئون البلاد . ووضعت  
السلطة التنفيذية في يد ثلاث قناصل ينتخبون بواسطة مجلس  
الشيوخ لمدة عشر سنوات على ان يكون بونابرت قنصلا اولاً .

وكان نابليون يقول « ان الذي يعجبني اكثر من كل شيء هو  
ضرورة القوة لتنظيم اي عمل . . توجد في العالم قوتان : السيف  
والرمح . والسيف دائما ينهزم امام الرمح » .

هكذا كان نابليون يفكر بعقلية المحارب وروح المصلح . .

ولم يكن بد من امتشاق الحسام لتأمين سلامة فرنسنا من  
اعدائها المتحالفين عليها وبدا بالنمسا التي كانت قواتها تهاجم  
الفرنسيين في ايطاليا ، فحمل عليها نابليون حملة شعواء مجتازا  
جبال الالب وسويسرا هابطا الى سهول لمبارديا مهد مواصلا  
النمساويين الذين دحروهم في سهول « مارنجو » ١٤ يوليو ١٨٠٠  
فكانت من معارك التاريخ - وقد نال الفرنسيون نصرا ثانيا في



معركة هو هنذن فسعت النمسا الى الهدنة وعقدت معاهدة « لونيفيل » .

وهكذا تمت خطوة هامة من خطوات السلم الذى كان ينشده نابليون . كما أنه قبل شروط فى صلح اميان - مارس ١٨٠٣ - مع انجلترا ، وسحب قواته من مصر ، وبهذا انتهت الحرب واستقر السلم ، وشرع نابليون يجرى يد الاصلاح فى فرنسا ، واستطاع فى مدى أربع سنوات أن يتم تنظيم فرنسا وكافة مرافقها وشئون الحكم والاقتصاد والعمران ، وكان من نتائج ذلك أن وافق الشعب بأغلبية عظمى فى عام ١٨٠٢ على تعيينه قنصلا مدى حياته .

### يحيا الامبراطور :

وفى يوم ٢ ديسمبر سنة ١٨٠٤ احتفل بتتويج الامبراطور فى كنيسة نوتردام ، وكان المنتظر أن يركع نابليون أمام قداسة البابا ويقبل أطراف ثوبه فيتفضل هذا عليه بالتاج ويضعه على رأسه . وفى اللحظة المرتقبة فاجأ نابليون الجميع بأن نهض من مقعده فأخذ التاج بيده ووضع على رأسه ، ثم تناول تاج الامبراطورة ووضع على رأس جوزفين .

وهكذا توج نابليون نفسه ، على النحو الذى حدثنا به أمير الشعراء شوقي :

مجلس التاج على مفبرقه بيديه لا بأيدى المجلسين .

واذن فقد وصل الضابط الكورسيكى الصغير الى عرش فرنسا ووضع التاج على مفبرقه بيديه . . ومع هذا فانه قال : لقد جئت الى الدنيا بعد فوات الأوان ولم يعد هناك شيء عظيم لأفعله . . ما أبعد الفرق بينى وبين العظماء الذين صاروا فى التاريخ . . انظر الى الاسكندر فانه بعد غزو آسيا أعلن أنه ابن الاله جوبيتر وصدقته العالم كله - عدا أمه واستأذه أرسطو -

أما أنا فإذا أعلنت نفسي ابناً لأحد الخالدين فإن زوجة أي صياد  
سمك سوف تضحك وتهزأ بي !

كان يحلم دائماً بالشرق .. وامبراطورية عظمى يرفرف عليها  
السلم .

وكان يفسد عليه حلمه الجميل : كابوس .. الأسطول  
البريطاني !

كيف يدحر بريطانيا ؟

لا جديد تحت الشمس :

فكر نابليون في دحر بريطانيا بمقاطعتها اقتصادياً أي بمنع  
مراكبها من دخول الشاطئ الأوربي ، كذلك فكر في محاولة انزال  
قواته على أرض بريطانيا وكان يقول : « آه لو تمكنت من وضع  
قدمي على هذه الجزيرة » .

واخذ يفكر ويبتكر ويدرب أسطوله وجنوده ولكنه للمرة  
الأولى شعر بمرارة الاخفاق لأنه لم يكن إخصائياً في الحرب  
البحرية .. وقد حطم نلسون هذا الأمل بضربة الأسطول الفرنسي  
في الطرف الأغر عام ١٨٠٥ وراح نابليون يدعو للسلم ويكتب  
الرسائل للملوك ومنهم ملك بريطانيا ، ولكن جميع الدول - بتأثير  
الدسائس البريطانية - لم تقبل أن تكون فرنسا أكبر قوة في  
العالم . ولم تأمن أن يكون على رأس فرنسا مثل هذا الجندي  
الرهيب .

كان الاسكندر الأكبر مثله الأعلى ، ولكنه بعد فتويجه ، فكسر  
في نموذج آخر .. في شرلمان ، لقد ذهب لزيارة قبره في أكس  
لأشابل ، وعاد يقول : « لن يكون هناك سلم إلا إذا كانت أوروبا  
كلها في يد امبراطور يجعل من ضباطه ملوكاً عليها ... ان  
امبراطورية شرلمان ستعود من جديد ، حقاً .. لا جديد تحت  
الشمس » .

وبدا تنفيذ سياسته الجديدة ، فحول جمهورية إيطاليا وراثية بحكمها ابن زوجته « اوجين » ثم الحق بيدمنت وجنوده وبارما بأملاك فرنسا وراح يتطلع الى سويسرا ويدفع الولايات الألمانية الى الاتحاد في قبضته .

هذا بينما كان حلف جديد قد تكون من روسيا والنمسا والسويد تؤيده بريطانيا وعادت الحرب !

ملكان في كمين :

التقى الجيشان الفرنسي والنمساوي في وقعة « أولم » في أكتوبر ١٨٠٥ وأحرز نابليون نصرا مجيدا بفضل عنصر المفاجأة وقال نابليون : لقد قبضت على الجيش بحركة يسيرة ، ولقد ثبتت هذه الحركة قدم الامبراطورية ، مثلما ثبتت « مارنجو » قدم القنصلية من قبل ودخل نابليون فينا ، فانضمت فلول قوات النمسا الى قوات روسيا وكان الملتقى في أوسترلتز ، وأحرز الامبراطور انتصارا عالميا جعل وليم بت رئيس وزراء بريطانيا يقول « فلنطو خريطة أوروبا ، فلا حاجة لنا بها عشرة أعوام » . وقد ترنم أمير الشعراء بهذه الوقعة فقال محييا نابليون :

عند أسترلتز كان الملتقى واصطدام النسر بالمستنصرين  
صدت شاه التروس والنمسا معا من رأى شاهين صيدا في كمين  
وكان الامبراطور نابليون في خلال المعركة يرتدى حلة الجندي بجميع تفصيلاتها وخشونتها ويجلس بين ضباطه على الأرض ويحيا حياة جندي عادي ، وكتب الى زوجته يقول « لقد هزمت النمسا وروسيا معا ، وانتهيت من المعركة الآن ، ولا بد لي ان اذهب الى الفراش لأول مرة منذ اسبوع ، وسوف أنام في غرفة نوم البرنس كونتز .. عسى ان أنام ساعتين أو ثلاثا » . وظل شبح الحرب ماثلا ..

فقد فشل نابليون في مفاوضاته لروسيا وانجلترا ، وبات يخشى تأليف حلف جديد ضده وخاصة بعد ان ثار ضباط

الجيش الألماني ، حفدة فردريك الأكبر واضطروا حكومتهم لارسال  
انذار لنابليون بالجلء عن المانيا . فتدرع نابليون بهذا الانذار ،  
وبافت بروسيا في موقعة سالفلد ثم في موقعة « بينا » اكتوبر  
١٨٠٦ ودخل برلين ، واخذ سيف فردريك الأكبر واعتبره اثن  
كنز تلقته يداه ، ثم قابل الشاعر الخالد جوته وتبادلا التحية  
والاعجاب .

وفي عاصمة المانيا اصدر نابليون « مراسيم برلين » التي  
اعلن بها حصار الجزر البريطانية وحرم على اوروبا الاتجار معه  
او فتح موانئها لسفنها ، وفي هذا قال « اريد هزيمة البحر  
بقوات البر » وراج يتعقب فلول الجيش الروسى المتراجع نحو  
الحدود الروسية حيث سارع قيصر روسيا الى نجده ، وهناك  
في الوا . وفريدلند انتصر نابليون وسارعت الحليفتان الى عقد  
الهدنة ، ثم تقابل الامبراطور نابليون والقيصر الاسكندر في نهر  
منمين- واتفقا على شروط معاهدة نيلسن التي ولدت مملكة  
وستفاليا في املاك بروسيا غرب الرين ونصب عليها « جيروم »  
اخوه الأصغر ، وتعهد نابليون بمؤازرة القيصر في فنلندا وتعهد  
له القيصر بالوقوف معه ضد بريطانيا . وهكذا بلغ ملك نابليون  
أقصى الساع .

### حرب العصانات :

أراد نابليون أن يفلق سوق أوربا في وجه بريطانيا ولم يقل  
أن تقف أى دولة على الحياد ، وضم إلى أملاكه جميع الشواطىء  
الالمانية واستولى على هولندا وأغار على البرتغال التي رفضت  
الخضوع لقراراته ، فكانت أهم الأسواق الانجليزية . ثم أعلن ضم  
املاك البابا الى فرنسا وقيض عليه وسجنه ، وأخيرا أجبر ملك  
اسبانيا وولى عهده على التنازل له عن العرش في ابريل ١٨٠٨  
وتوج أخيه يوسف ملكا على اسبانيا .

وبدا فصل جديد من المسرحية الدامية . .

وقال نابليون بعد أن تورط في غزو إسبانيا .

« هذا أسخف عمل قمت به في حياتي » .

فرد عليه أحد صحبه القدامى :

يصح أن تنسحب ياسيدي ، وتترك هذه البلاد لأهلها .

فقال نابليون : « لا يمكن ترك مكان وصل اليه عقلي وسيفي » .

ومن العسير أن أعترف بانى وقعت في خطأ فاحش ، وأنسحب جيشا منهزما . . هل أنا نابليون الصغير ، أو أنا نابليون العجوز؟ »

كانت الشعوب تنشد الاستقرار ، ونابليون لا يملك الا الحرب

لقد أخفقت جميع محاولاته لاقرار السلم في أوروبا ، وراحت

الدول تتألب عليه ، فلم يكن بد من اخضاعها بالسيف . . واذن

فقد كان عليه أن يخضع النمسا وإيطاليا ، وبروسيا ، وإسبانيا ،

وروسيا . . وبريطانيا . . ليس هذا فقط ، بل سياسة فرنسا

أيضا .

وهنا بدأت نقطة التحول .

ومرة أخرى كان الجواد الأبيض المشهور يدق أرض النمسا

ـ ملعبه المفضل ـ وصاح بوناپرت فجأة : « لقد وجدتها ، ان

جيشهم سيفنى ولن يمضى شهر حتى أكون في فينا »

وقطع الجيش الكبير ٦٥ ميلا في أربعين ساعة وخطم الجيش

النمبوى في ٥ معارك ، ثم بارح النمسا الى بروسيا ، وعاد في

خمسة أيام من درسدن الى باريس . . كان اسرع رحالة في

زمانه .

**الجنرال يناير :**

س ـ ما هو اقصر طريق الى موسكو ؟

ج ـ كل الطرق توصل الى روما ياسيدي . .

ان شارل الثانى عشر ذهب بطريق بولتافا .

سمع الامبراطور نابليون هذا الرد من الأسير الروسى ثم



أرخص العنان لجواده واستمر يدرع الطريق الطويل في الفيافي الروسية أملا في الالتقاء بالجيش الروسي في معركة .. كانت مقدمة الجيش الفرنسي تلتقي بين حين وحين بمؤخرة الجيش الروسي ولكن لم تحدث معركة قط ، وكان الضيق يشتد بنابليون والعصية تخنقه .. في كل مساء يتوقع المعركة في الصباح وفي الصباح لا يجد أثرا لجيش العدو الماكر ، وتضحك روسيا ، وتضحك بريطانيا .

وفقد نابليون ثلث جيشه قبل أن يشتبك في المعركة .. وراح يعجب لتضحية الروس بمدنهم ، ثم التقى الجمعان في بوردنيو ودارت رحى معركة ضروس خلفت ٧٠ ألفا بين قتيل ونصف قتيل .

ووصل نابليون إلى موسكو ..

وقال الامبراطور : موسكو حانت ساعتك !

وقب ينتظر مفاتيح المدينة - يأتي بها عمدة موسكو - وينتظر الطعام الشهى للجنود والثياب الثقيلة .. وطال به الانتظار ، دون جدوى ، وأخيرا ركب ومعه أركان حربه قاصدا الكرملين .

وجد المدينة صامتة . والطرق خالية ، والأبواب مفتوحة .. ولا انسان ثم رأى شيئا رهيبا .. النار .. ان موسكو تحترق . وفقر نابليون فاه ، وتلاشت اعصابه . واضطرب تفكيره ، وجعل يصيح : ما أبشعه من منظر ، يدمرون بيوتهم بأيديهم ؟ هذه القصور .. أي قرار جنوني .. أي أناس هؤلاء .. النار في الكرملين ..

ووضع كمية من السم أعدها له أطباؤه في كيس صغير مشدود إلى عنقه ليستخدمه عند اللزوم .

**لنا .. الجيش الأكبر :**

وبالأمس كان جنود نابليون يتساقطون من شدة الجوع في صحراء مصر ، وهاهم أولاء يتساقطون من شدة البرد في روسيا

فقد كان يريد ان يحكم الدنيا وحده ؟ ولم يصل الى سمولنسك  
فى عملية الانسحاب سوى ٥٠ ألفا - أى ١٠٪ من جنود الحملة  
- يتهددهم الصقيع ، والقوقاز .  
وعادت فلول جيشه الى الحدود الفرنسية فى حالة يرثى لها  
حتى ان المارشال تاي - اشجع الشجعان - دخلها ممزق الثياب  
كرية المنظر ، فلما سأل الناس من انت ؟ قال :

**(( انا الجيش الكبير ))**

وكان لهذه الهزيمة الماحقة التى دمرت قوات فرنسا اثرها  
فى تأليب دول أوروبا ، وكان نابليون قد عاد ومعه خمسون ألف  
مقاتل فقط . من نصف مليون .

وأخذ فى اعداد حملة جديدة .

وقال . . هذه المرة سأفعل كما كان يفعل : الجنرال

بونابرت .

وآدار معركة « بوتزن » بكفاءة نادرة ثم أحرز نصرا جديدا

فى « بوتزن » .

كان همه فى صعود ونجسه فى قعود .

وكان يقول : ان صقيع روسيا أفقدنى كل شيء . . إلا

الشرف .

**التنازل عن العرش :**

وكانت كرة الحكم فى فرنسا قد وصلت الى قدم تاليران

الذى راح يلعب بمهارة ، ويسعى لأصابة الهدف : انقاذ فرنسا .

ورفض الحلفاء مفاوضة نابليون ، فأرسل تاليران ماسيو

كولينكور للتفاهم مع الامبراطور فوجده فى قصر « فونتنبلو » . .

يصلى . .

وابتدره الامبراطور قائلا : ماذا تريد متى ؟

فأجاب : توضيحات عظمى . . تتنازل عن العرش لابنك .

### النسر فى القفص :

تم الاتفاق على نفى نابليون فى جزيرة « البيا » وهناك .. عاش النسر فى القفص ، ولكن آماله لم تحبس معه .

وكانت الأمور قد صارت فى فرنسا على غير ما أراد لها ، وعاد آل بوربون للحكم وفجأة .. انطلق النسر من عقاله وهبط الى ارض فرنسا .. وفزعت أوروبا كلها ، وارسى الى ملك فرنسا الجيش بقيادة صفيه « ناي » ليحضر به اليه حيا أو ميتا ووقف نابليون أمام جنوده ، وقال :

« اننى امبراطوركم . فاذا كان بينكم من يريد قتلى فليتقدم » فرد عليه صوت كهدير المدافع : يحيا الامبراطور .

### المائة يوم :

وفى « ووترلو » كان الملتقى .

ووقف نابليون فى شالوروا على رأس ١٢٤ الف جندي ووقفت قبائلته الحلفاء ٢٢٠ الف ، وفكر نابليون بسرعة ، وراى أن يبدأ بمهاجمة الجيش البروسى بقيادة بلوخر عند « لينى » يوم ١٦ يونيو ١٨١٥ ولكن بلوخر نجح فى تفادى الكارثة وارتد بنظام صوب المواقع الانجليزية وحينئذ تحول نابليون الى جيش ولنجتون وبدأت معركة ووترلو .

وكان « جروشى » قد أخفق فى حجز وتثبيت الجيش البروسى وأخطأ فى فهم أوامر قائده نابليون ، فأفلت منه بلوخر ، وبدلا من أن يحضر الجيش الفرنسى جساء الجيش البروسى ، فكانت مفاجأة وصدمة لنابليون ، ومال ميزان المعركة وفى اللحظة الأخيرة .. انتصر ولنجتون .

وفى معركة تسعة أيام اضاع نابليون الامبراطورية التى جاهد لإنشائها فى تسعة أعوام وخرج نابليون من مسرح الحرب والسياسة ودخل الى ساحة التاريخ الذى شهد أنه أكبر عبقرية

عسكرية • وفى سانت هيلانه قضى نابليون البقية الباقية من  
حياته ، وهناك كتب مذكراته وفيها يقول :

( نحن شهداء مبادئ خالدة ، يبكى حظنا الملايين من الخلق ،  
ويتأوه الوطن لمصابنا . . ولو كنت مت وأنا فى اوج عظمتى لبعيت  
الى الأبد لغزا لا يحل ) •





# المارشال كوتزوف

القائد المجهول الذى جر نابليون بونابرت الى  
نهايته على مشارف موسكو ، وأنقذ روسيا من  
الضياع بفضل .. الصبر ، والوقت .

كان نابليون بونابرت يمنى نفسه بالسيطرة على أوروبا ، ولم  
يكتف بما وصل اليه من انتصارات وفتوح ، وانما أراد كل شيء .  
ولهذا قرر غزو روسيا - رغم ما كان بينه وبين امبراطورها  
اسكندر ، من اتفاق وصداقة وتعاون - وكان قد هزم كل جيوش  
أوروبا ، ولم يبق أمامه سوى جيش روسيا .

وفجأة وجد الروس بلادهم تحت اقدام الفسزاة فى حرب  
صعبة المراس طويلة الأمد متدفقة الدماء .

وتلفت الشعب والجيش فى ارتقاب المنقلب .. الرجل الذى  
يستطيع أن يقف فى وجه الأعصار ، ويرفع يده فى وجه نابليون ،  
وينقذ روسيا من البطش والمهانة .

واجتمعت الكلمة على قائد متواضع ، أعور ، جنكته التجارب  
فى الحروب ، ومع نابليون بالذات ، وكان يجمع بين الاتزان  
والجسارة ، كان يحسن تقدير الموقف ويجيد تنفيذ الخطة .

كان القائد الذي اختارته العنابة لمنازلة نابليون بونابرت ،  
وانقاذ روسيا ، هو كوتزوف ..

ميخائيل لاريونوفتش كوتزوف - أمير سمولينسك (١) ،  
وكانت خطته : الصبر والوقت .

ولد كوتزوف في بطرسبرج ( ليننجراد ) يوم ١٦ سبتمبر  
سنة ١٧٤٥ .

والتحق بالجيش وهو في الخامسة عشرة من عمره ، فحارب  
في بولندا سنتي ( ١٧٦٤ - ١٧٦٩ ) وفي تركيا سنتي ( ١٧٧٠ -  
١٧٧٤ ) وفقد إحدى عينيه في القتال .

ورقي إلى رتبة اللواء في ١٧٨٤ . وعين حاكما عسكريا في  
« كبريميا » تحت إمرة القائد الروسي الشهير « سوفاروف » الذي  
تكشف هواهب كوتزوف فدفع به إلى حيث تتبعه الأنظار والأفكار  
به . والثقة .

وبرز كوتزوف في معارك الحرب التركية عامي ١٧٨٨ -  
١٧٩١ في أوخاكوف وأودسا وبندا وريمنسك وماشين وركي إلى  
رتبة الفريق ثم تقلب في عدة وظائف دبلوماسية وعسكرية منها  
سفير روسيا في القسطنطينية وحاكم عسكري مدينة بطرسبرج -  
وفي عام ١٨٠٥ قاد الجيش الروسي الذي اشترك في منازلة  
نابليون عند غزوته للنمسا ، واستطاع أن يحرز نصرا محليا في  
معركة « رونشتين » العنيفة .

وأخذ كوتزوف يتتبع أبناء بونابرت ويدرس خطته ويراجع  
أساليبه لكي يكشف أفكاره ويتعرف إلى مناوراته وامكانياته ، فقد  
كان يعلم انه لابد من هزيمة نابليون لكي تستريح أوروبا كلها .

وقبيل نشوب معركة أوسترلتز كان القادة خصوم نابليون

---

(١) مدينة روسية مشهورة ، كوفي ، كوتزوف باسمها ، تقديرا لبطولته  
العسكرية .

يشاورون . . وأخذ كوتزوف يتتبع المناقشة صامتاً حتى إذا طلبوا منه إبداء رأيه قال في ثقة وثبات :

« رأيي أن لا تكون هناك معركة على الإطلاق » .

أي أنه كان يرى تفادي المعارك الحاسمة حتى لا يستطيع نابليون أن يدمر القوات العسكرية المضادة له ، وإنما كان رأى كوتزوف القيام بمناورات وعمليات انسحاب وهجمات الفدائيين والأهالي مما لا يعطى نابليون فرصة الانتصار السريع ويؤدي خطوط مواصلاته ويعرقل خطته القائمة على السرعة والعنف . . وبذلك لا تكون المعركة مجرد جولة سياحية من جولات نابليون المشهورة في ملعبه المفضل . . ولم يؤخذ برأي كوتزوف ، ودارت المعركة ، واستطاع نابليون أن يهزم الجيشين الروسي والبروسي في عملية خاطفة .

وكاد كوتزوف أن يفقد حياته في هذه المعركة ، ولكن القدر اكتفى بأن يعطيه عدة أوسمة من الجراح .

وبين سنتي ١٨٠٦ ، ١٨١١ تقلد كوتزوف مناصب القيادة في لتوانيا ثم في كييف . . وبقي مدخرا حتى أقبلت السوء الحاسمة .

دخل نابليون روسيا على رأس « الجيش الكبير » توافره قوات عسكرية تمثل اثنتي عشرة دولة أوروبية . وهبت روسيا شعباً وجيشاً وحكومة لتدفع هذا الأعصار الجزار ، الذي استمر مندفعاً عبر سمولنسك ، ثم بوردينو . . وأصبحت موسكو هي الهدف .

وكان الجيش الروسي يلتزم خطة الانسحاب مع القيام بأعمال المؤخرة ، وهي تعطيل العدو وتصعيب طريق التقدم .

وكان الشعب الروسي طوعاً أمراً قادته فاشترك في مواجهة الهول وتحمل المأسى التي انصبت عليه . كان الأغنياء الروس

يتخلون عن قصورهم وعمائرهم ، والفقراء الروس يحرقون الزرع  
ويقيمون كل عقبة يستطيعونها في وجه الفزاة ..

وكان الجيش الفرنسي لا يحارب الجيش الروسي بل يفزو مدنا  
محترقة ويخوض حقولا من الأشواك والصخور والدماء والأشلاء ،  
ويتقدم بين الخرائب والأنقاض .. الى مستقبل مجهول .

وقد حدثت وقفة عند « بوردينو » ولكن لم تكن معركة  
قاصلة ، فانسحب الجيش الروسي كما تتراجع الكرة فوز  
اصطدامها بكرة أكبر حجما واثقل وزنا وقد اندفعت الكرة الأقوى  
من تأثير الصدمة أيضا شوطا .. الى الامام .

وارتد الجيش الروسي صوب العاصمة القديمة بعد أن  
انسحب ثمانين ميلا ثم أخذ الجيشان يستعدان خلال خمسة  
أسابيع للمعركة التاريخية الحاسمة .

كان هذا الخطر المروع الذي تعرضت له روسيا ، والذي  
أوشك أن يصبح كارثة محققة كانت تختلف في أسبابه ووسائل  
دفعه عقول كثيرة .. إلا عقلا واحدا أرسخت الحقائق في أعماقه  
.. أنه كوتزوف القائد العام الذي كان يعيش في خضم هذا  
المعترك الرهيب ويرى أمام عينيه مصير بلاده يتأرجح بين البقاء  
والفناء .

وعلى مشارف موسكو بعث كوتزوف بأحد قواده الجنرال  
« أرمولف » يستطلع الموقف فعاد يقول أنه ليس في الامكان  
الدفاع خارج موسكو ، وإذا اشتبك الجيشان فسوف يخسر  
الجيش الروسي معركته الأخيرة .

وهرع كوتزوف الى عربة القيادة وانطلق في الطريق الذي  
يتقدم عليه الفرنسيون الى موسكو .. ودار حول المكان ، وهناك  
استدعى جنرالاته وجمع مجلس حرب في أرض المعركة للتداول  
في الموقف والنظر في الحلول المختلفة .

كان هناك راي يقول بالدفاع عن موسكو .  
ويتزعم هذا الراي الجنرال بنجسن ، قائد القوات الروسية  
فى معركة فردلاند .  
بدأ بنجسن الحديث بسؤال عن الهدف : هل نغلى العاصمة  
التاريخية المقدسة بغير معركة او ندافع عنها .  
ثم علق على ذلك بقوله : حقا انه لم يكن فى الاستطاعة ولا من  
المصلحة ان نشتبك مع الفرنسيين فى « فيلى » ولكن الأمر هنا  
يختلف حيث تتجلى روح الدفاع الوطنى وبطقى حب موسكو مما  
يجعل الدفاع عنها ممكنا بل حيويا .  
ثم أعلن رايه انه لابد ان يدافع عن العاصمة التاريخية  
المقدسة .  
وكان ماكرا . . فاذا فشلت العملية يقع عبء الفشل على  
كوتزوف الذى سحب الجيش الى موسكو بغير معركة ، واذا  
نجحت يكون الفضل له ( بنجسن ) واذا لم تحدث المعركة يكون  
هو قد برا ساحته من جريمة قهر العاصمة ، لانه ادى واجبه وأعلن  
رايه فلم يؤخذ برايه .  
وانقسمت الآراء . . كان يؤيد بنجسن كل من أرمولوف  
ودكتروف ورافكس .  
اما بقية القادة فكانوا ينظرون الى الأمر الواقع ، وهو ان  
موسكو بدأت تغزى فعلا وكان تفكيرهم فى طريقة وطرق الانسحاب  
عن موسكو .  
ونظر الجميع الى الرجل الضامث الذى كان يسعل بشدة  
ويرسل بعين واحدة نظرات قاسية حين لا يعجبه كلام . . . وذلك  
دون ان يفقد مظهر الثقة والكفاية .

وبدا كوتزوف يتكلم :

ان فكرة تحريك القوات الروسية من مواقعها الحالية القريبة



من العدو ، لتشرع فى الهجوم تعتبر عمجية خطيرة محكوما عليها  
بالفشل ، ولها سوابق عديدة فى تاريخ الحروب .. خذوا مثالا  
معركة « فريد لاند » واظن ان الكونت بنجسن يذكرها جيدا وقد  
انتهت بالاخفاق لان القوات غيرت أماكنها وهى على مقربة من  
العدو .

ينجب أن يكون مفهوما اننا سنخسر اذا شرعنا فى الهجوم ..  
ان الصبر والوقت هما اعظم المحاربين ، هما خيرة أبطالى .

ان التفاحة لم تنضج بعد ، ومن المؤلم ان تشرع فى قضم  
تفاحة غير ناضجة لانك لن تتلقى غير مرارتها وستصاب أسنانك  
بالمشقة ، ومعدتك بسوء الهضم اصبر حتى تنضج التفاحة ..  
وتسقط وحدها ..

اننا لانبحث ايها السادة فى العاصمة التاريخية المقدسة ، ولكن  
المهمة التى دعوتكم اليها هى مهمة حربية .. هذه المهمة هى انقاذ  
روسيا .. وهل من الأفضل ان نُسحب عن موسكو وبغير معركة  
او ندخل المعركة مفامرين بمصير الجيش ومصير موسكو ؟ ..  
هذه هى المشكلة التى اريد ان تناقشوها ..

وأخيرا قال كوتزوف :

ايها السادة لقد عرفت وجهات نظركم .. بعضكم لا يوافقنى  
ولكن باسم الثقة التى اودعنيها الامبراطور والشعب ، أصدر  
الأمر .. بالانسحاب ..

وانصرف الجنرالات ، والقى كوتزوف رأسه بين ساعديه  
المرتكنتين على طاولة الاجتماع وراح فى نوبة فكر هائلة .

صدر الأمر التاريخى الرهيب بالانسحاب عن موسكو .  
وتراجعت عنها القوات الروسية ومعها الجرحى والاهالى .  
وتركت مجموعات متناثرة من الجنود والقسوانيين والاهالى

يشنون حرب العصابات « الفـسـوريلا » لتعطيل الفرنسيين  
وأزعاجهم وتدمير معنوياتهم .

ودخل نابليون موسكو . لم يجد الجيش الروسى كما كان  
يتوقع . وانما وجد النار والدمار .

وقال له ضابط مخابراته : ان موسكو خالية مفتوحة . .

وذهل الامبراطور وصاح فيمن حوله : الى بالعربة .

واستقل عربة القيادة ومعه اركان حربه ، وجرى بها هنا  
وهناك . .

موسكو خالية . . مهجورة . . اى قرار جنونى ؟ ثم اردف :  
ان المسرحية لم تتم فصولا . . .

وفى اول اكتوبر بعث نابليون رسالة مؤرخة فى موسكو الى  
كوتزوف . . يعرض عليه الصلح :

وجاء رد كوتزوف حاسما : لا .

وبدا الجيش الكبير يشعر بخيبة الأمل ، كالسائر فى البيداء  
انهكته الرمال والفواصف وخدعه السراب . . واخيرا تجسم  
لقادته وجنوده اليأس والفرع ثم دوت نيران الجيش الروسى  
التي كانت مختزنة للساعة الحاسمة .

وبدا التحول الخطير فى المعركة التاريخية .

ولوى نابليون عنان جواده . واطرق براسه وبدأ التراجع .

ثم كانت ساعة فى ليلة حالكة وقد جاء احد الفرسان ينهب  
الأرض ويصرع الثوانى والدقائق لى يصل الى مقر القسائد  
الكبير . . كوتزوف . . وكانت معه رسالة فيها كلمات قلائل .  
ايقظت الجنرال النوبتجى كما لو كانت دلو ماء انسكب على  
وجهه الصامت ودخل الجنرال النوبتجى والفارس يحملان اهم  
نبا فى حياة كوتزوف .

بل اهم نبأ فى تاريخ تلك الحقبة من الزمان ..  
نابليون ينسحب ؟

وكان كوتزوف غارقا فى ظلمة حجراته ورأسه على كفه ،  
وعينه الوحيدة تخرق الفضاء ... فقد كان لا يعرف النوم ،  
ولا يخلع ثوبه العسكرى ، ولا يفرغ من التفكير والتدبير .

وما ان فرغ المتحدث من تبليغ رسالته حتى ارتقى كوتزوف  
على الارض ، وزحف الى محراب صلاته .. وقال :

ايه يارب .. ايها الخالق الاعظم الذى تسمع صلاتى ..  
انك انقذت روسيا ..

اشكرك يارب ..

# المارشال روميل

كان (( ثعلب الصحراء )) ظاهرة غير عادية ورغم  
هزيمته فقد اعتبر اعظم قائد في الحرب العالمية  
الثانية من الجانبين ..

عندما فكرت في الكتابة عن الجنرال فيلد مارشال اروين  
روميل كأحد النماذج المتفردة بالعبقريّة العسكرية ، قفزت الى  
خاطري آراء خصومه فيه ، وقد قيل : الحكم ما حكمت به  
الاعداء .. فألعت بما كتبه رجال العسكرية والسياسة في  
المعسكر المضاد لالمانيا قبل ان اعيد بقراءة كتب المؤيدين والمحايدين ،  
واستعرضت آراء الفيلد مارشال ويفل ، والجنرال أوكتاك ،  
والخصم السياسي الداهية سير ونستون تشرشل ، والمعقب  
الحربي النقاد كابتن ليدل هارت ، وغيرهم من الاعلام ، فرأيت  
في ذلك ما يفيض عن الحاجة اذا قصدت الى وضعت عشرات  
الصفحات تمجيدا لروميل وإشادة بعبقريته العسكرية .

وقد انفرد روميل بكأس البطولة والشهرة بين قادة الحرب  
العالمية الثانية ، وكان اعظم قادتها بلا مرأى رغم انه خرج من  
المعركة مهزوما ، وهو في ذلك يشبه نابليون وهاتيبال وروبرت  
لي الذين هزموا فنصرهم التاريخ ، وخسروا المعركة ولكن كسبوا  
الخلود .. ولم يحفل الغالبون بشيء من شهرتهم وامجادهم .

## فوق مستوى القادة

كان روميل ، « فلتة » فهو لم يكن قائدا عاديا ، وقد وصفه خصمه العتيد الجنرال اوكنلك بقوله : « ان روميل كان قائدا فوق مستوى القادة » ووصفه الكابتن ليدل هارت بقوله « لقد كان روميل عبقرية عسكرية ولا يبلغ مبلغه قائد آخر » .

وكان الجنرال اوكنلك يكافح لتثبيت قلوب جنوده الذين روعهم اسم روميل وحرّمهم النوم واخذ يصدر اوامره بمقاومة الذعر ودفع الرهبة التي اقترنت باسم روميل « ان هناك خطرا حقيقيا ، فصاحبنا روميل قد اصبح ساحرا لجنودنا ، يتحدثون عنه ويشغلون به ان روميل ليس انسانا فوق البشر ، وان كان بلا ريب ممتازا وقديرا .. اننى اناشدكم ان تستخدموا كل الوسائل لتبددوا هذه الافكار التي استولت على عقول الجنود فجعلتهم ينظرون الى روميل على انه اكثر من قائد المانى » .

وقد سجل اوكنلك - كقائد وانسان - رايه التساريخى فى روميل فقال :

لقد احترمته لشجاعته ، اذ كان قادرا على عمل كل شيء ، وكانت حروبه تمتاز بضروب الشجاعة والفروسية التي تميزت بها العصور الوسطى ولم يعد لها اثر فى ايامنا ، وهذا ما جعله يكتسب احترام القادة البريطانيين وينال محبة اعدائه قبل اعدائه .

## اول الطريق

ولد ارون روميل فى سنة ١٨٩١ ، واخذ طريقه الى المعسكر فى سن التاسعة عشرة واصبح ضابط مشاة فى سنة ١٩١٢ وعرف عنه ميله الى الضبط والربط وتدريب المستجدين وشغفه بالبحث فى التنظيمات العسكرية فى عمق ، وروية ، كما



كان موضع تقدير زملائه باحترامه للتقاليد العسكرية وتميزه بالصفات الحسنة ، فلا تدخين ولا خمر ولا سهرات ولا نزوات .

وقد وصفت بعض المراجع « الملازم روميل » بأنه كان شجاعا الى أبعد الحدود وأنه كان « متحفزا للهجوم ولا يعرف التعب » وقد فاز بالصليب الحديدى فى واقعة عرضته فيها شجاعته لرصاص العدو ، فلما خرج من المستشفى بعد ثلاثة شهور تعرض بفصيلته لضغط كتيبة مشاه اطبقت عليه من كل ناحية ولكنه قاتلها ثم افلت منها بعملية انسحاب شائقة تقلد على اثرها نيشان الصليب الحديدى من الدرجة الاولى .

ولما نقل الملازم روميل الى كتيبة ورتبرج الجبلية حارب فى رومانيا وايطاليا حيث منح وسام الجدارة الالماني - الذى يقابل صليب فكتوريا - لما ابداه من براعة فى القيادة ، وحقق فيما اقدم عليه من الأعمال الحربية .

ومن الحوادث المشهورة فى ذلك الحين قيامه بعملية نجاه كابورتيو فى اكتوبر ١٩١٧ فلما تم له تحقيق الغرض كان قد مشى على قدميه خمسين ساعة متوالية وصعد سبعة آلاف قدم وأسر مائة وخمسين ضابطا وتسعة آلاف جندي وواجهوا وثمانين مدفعا .

وأصبح اروين روميل يوزباشى فى سنة ١٩١٨ ثم صار معلما بمدرسة المشاة فى درسدن خلال عامي ٢٩ ، ٣٠ حيث عكف على وضع كتابه المشهور « هجوم المشاة » الذى يعتبره حتى اليوم مرجعا ممتازا فى تكتيكات المشاة الصغرى وخاصة وقد وضعه « استاذ فى فنه » .

### قائد حرس هتلر

وقد اختير روميل قائدا لحرس هتلر ، وكان رجلا مطبوعا على الولاء مقدسا للتقاليد العسكرية قواته الفرصة لدراسات

عليها ، وخاصة في فاتحة الحرب العالمية الثانية فكشف خطط الحرب الحديثة ومرت تحت عينيه جيوش المانيا الجرارة في غزو بولندا وادرك خصائص الحرب الحديثة واهمها التعاون بين قوات الجو والبحر ، واهمية القوات المدرعة ، وخاصة اذا استخدمت في حشود كبيرة ، كذلك ضرب مؤخرة العدو فلما عين قائدا للفرقة السابعة المدرعة ، او « فرقة الشبح » - كما اطلق عليها فيما بعد - كان قد ادرك كل ما هو مطلوب منه ، واخذ يطبق نظرياته التكتيكية ويضع افكاره موضع التنفيذ .

### قيادة الفرقة المدرعة

دفع روميل فرقته المدرعة الى الميدان فاحرزت النصر في معركة بعد اخرى ومن المآثر عنه غزوته الموفقة في شربورج ، وعلى اثرها سلمت فرنسا .

وقد احصيت نخسائر الفرقة السابعة المدرعة البنزر خلال معارك ستة اسابيع فاذا هي :

٦٨٢ قتيل - ١٦٤٦ - جريحاً - ٢٩٠ مفقوداً - ٤٢ دبابة .

اما مغانمها فكانت :

٩٧٦٤٨ اسيراً - ٧٧٢ مدفع ميدان - ٦٤ مدفع دبابات - ٤٥٨ دبابة - وعربة مصفحة - ٤ آلاف لوري - ١٥٠٠ سيارة - ٢٠٠ عربة جر .

وكتب الى زوجته يقول :

« قامت الفرقة بهجوم على شربورج واستولت على قلاع منيعة رغم قوة الدفاع عنها . لقد صادفت لحظات حرجة للغاية

اذ كان العدو يفوقنا فى العدد نحو عشرين مرة او تزيد  
وكان لديهم فضلا عن ذلك بين عشرين وخمسة وثلاثين حصنا  
مجهزا وبطاريات عديدة . ومع هذا كله فقد استطعنا فى قوة  
وسرعة ان ننفذ امر الفوهور الخاص بالاستيلاء على شربورج  
باسرع ما يمكن » .

### فى شمال افريقيا

فى فبراير عام ١٩٤١ قطع روميل اجازته القصيرة حيث  
استدعى لمقابلة الفيلد مارشال براوشتس الذى انهى اليه  
بالمصوب الجديد الذى وضعه فيه هتلر ، وهو « قائد قوات  
الفيلق الالماني فى شمال افريقيا » .

وكانت احوال الايطاليين فى ليبيا تسير من سيئ الى اسوأ ،  
فأرسل هتلر فرقتين لمعاونتهم ، احدهما خفيفة والاخرى من  
قرق الباتزر ، وكانت آخذ الاخبار من الميدان الافريقى تقول بأن  
المارشال ويفل قد استولى على بنغازى بعد ان دمر الفرقة  
المدرعة الايطالية واخذ يستعد لدخول طرابلس .

ولهذا كان اول ما تبادر لذهن روميل عند التقائه بالجنرال  
كيسلرنج - قائد القوات الجوية الالمانية فى صقلية - ان طلب  
اليه ضرب ميناء بنغازى فى الليل ثم مهاجمة القوات البريطانية -  
ومن عجب ان روميل علم ان الايطاليين لم يطلبوا قذف بنغازى  
بقذابل الطائرات لسبب خطير . . وهو ان عددا من الضباط  
الايطاليين والرجال ذوى الشأن يملكون بيوتا فيها - وقد  
استأذنت القيادة الجوية من قيادة هتلر . ضرب بنغازى ، فجاءتها  
الموافقة فى الحال . . واندفعت الطائرات الالمانية تضرب بنغازى  
وقوات البريطانيين المتقدمة ، وتذكر مواضعهم وخطوط  
تموينهم .

وفى يوم ١٢ فبراير هبطت طائرة روميل فى طرابلس  
بينما غادر المارشال جرزباني قيادته .

وجد روميل متاعب اخرى في انتظاره ، متاعب ليست من اعدائه ولكن من حلفائه فقد واجهته اخبار انسحاب اليطاليين وتسليمهم اسلحتهم ومؤنهم وهبوط معنوياتهم الى حد ان ضباطهم اخذوا في اعداد حقائبهم املا في العودة الى ايطاليا .

وفد فكر روميل بسرعة واصدر امره اليومي « لا خطره بعد الآن الى الوراء » وفدر ان البريطانيين لا يستطيعون التقسّم ما دامت هناك مقاومة ، وفي فترة الانتظار هذه الحرجة أخذ روميل يحشد قواته ويضع خطته ، ويوطد صلته بالقادة اليطاليين .

وبدا زحف قوات روميل فرأى البريطانيين شيئا جديدا . . خطيرا وتقدمت الدبابات الالمانية تأخذ طريقها عجبا تظللها سحابة من الطائرات وظهرت علامات النصر . . وتحقق رأى روميل « النصر للجانب الاقوى » .

وانسحب الانجليز بعد قتال عنيف فقدوا فيها الفى اسير بينهم ثلاثة من القادة العظام : اكثور ، ونيوم ، وجامبير . . . هم تفطن القيادة الانجليزية الى غرض روميل ولم يجل بتفكيرها انه يحرّو على قطع هذه الصحراء الشاسعة مبتعدا عن قاعدته . . ففاجأتها اساليب روميل وبعثرت خططها وقلبت نظرياتها ، فكان الاتداد السريع ، واستطاع روميل ان يطوى الصحراء فى اسبوع واحد من بنغازى الى السلوم . .

### بين شقى الرحى

عندما انتصر روميل فى شمال افريقيا لم يكن أكثر من عدوه عددا ولا عدة باعتراف تشرشل نفسه الذى صرح « ان القوات الانجليزية كانت متفوقة فى عدد الدبابات بنسبة ٧ : ٥ ومتفوقة ايضا فى المدافع بنسبة ٨ : ٥ ومتفوقة فى الجو .

وكان روميل يحارب بعيدا عن قاعدته فتعرضت مواصلاته

لهجمات الطائرات البريطانية التي كانت مصدر خطر كبير في الوقت الذي شغلت فيه الطائرات الألمانية بميادين أخرى .

ولم يلق روميل من حلفائه الايطاليين المعاونة الجادة في الوقت الخطير الذي كانت تعانيه قواته وهي تكافح بشق الانفس لدفع العدو المتفوق في كل شيء .

ولم تستطع القيادة الألمانية العليا أن تستمع الى رجسوات روميل المتكررة في معاونته ، اذ كان الميسدان الروسى شغل القيادة الألمانية الشاغل ، وكان الموقف خطيرا فحجب المسرح الافريقى عن عيون المسئولين .

ثم وقع الحادث التاريخى الخطير وهو فتشح الميدان الثانى فى شمال غرب افريقيا فى الوقت الذى بدأت فيه معركة العظمين . . واصبح روميل بين شقى الرحى .

وفتح التاريخ احدى صفحاته الخالدة ليسجل لأحد القادة العظام فى جميع العصور ما يفعله فى مثل هذا الموقف الشاذ .

كان روميل يحارب فى عدة جبهات :

١ - القيادة العليا الألمانية التى لا تمده بحاجياته الحيوية .

٢ - القيادة الإيطالية العاجزة عن معاونته .

٣ - القوات الجوية المعادية التى تدمر خطوط مواصلاته ومصادر تموينه .

٤ - التفوق العددي الهائل لخصومه فى الرجال والطائرات والاسلحة وكافة المعدات .

كانت نتيجة معركة العلمين معروفة « سلفا » . . ولكن كان معروف أيضا أن القوات الألمانية لن تتلقى هزيمة نهائية ويقضى عليها قضاء مبر .



اما عن الشق الاول من هذه النتيجة ، فلم يكن فى وسع أى قائد فى الوجود منع الهزيمة واما عن الشق الثانى ، فقد استطاع القائد العبقرى ان يمنع الدمار ويتفادى الكارثة ويمرّق بجيشه فى الوقت المناسب وباقل خسائر ممكنة .

لقد كانت معركة ذات جانب واحد . . فلما انهزمت قسوات المحور كان التاريخ قد سجل أن روميل هو أعظم قائد فى الحرب العالمية الثانية .

عزيزتى لو :

ان المعركة تشتد وطأتها علينا . ولقد دفعنا حشود العدو عن مواقعنا . اننى ابدل جهدا بالغا لانقاذ الجيش ولست أدري هل انجح فى ذلك قضيت الليل مستلقيا مفتوح العينين أعمل فكرى فى طريقة لانقاذ قواتى . . اننا نواجه اياما فى غاية السوء بل أسوأ ما يمكن أن يمر بانسان .

ان القتلى اسعد منا ، فقد انتهى كل شىء بالنسبة لهم .  
اننى افكر فيك بكل حب وتقدير ، ومن يدري ، فقد نلتقى مرة اخرى .  
( روميل )

### الرتب والنياشين

كان روميل فى جميع ادوار حياته جنديا لم يستهوه شىء قير الجندية ، ولم يعرف عن الجندية غير خصائصها وحدودها ، فلم تكن عنده سوى بذل الجهد لتحقيق النصر او دفع الهزيمة ، ولم يخطر بباله قط أن الجندية مفنم فعرف عن مظاهرها وابهتها واحتفظ بالهيبة والكرامة .

وقد تخبر روميل الميدان مبكرا ، واحرز النصر كثيرا ، ونال الاوسمة والرتب والنياشين بلا رغبة منه او اهتمام ، حتى أنه

حين أنعم عليه بأعظم الرتب « فيلد مارشال » كان مشغولا عنها بأحداث القتال فلم يغير علامات الكتف وظل على حاله بسلامة الجنرال حتى قدم له المارشال كسلرنج علامة من علامات رتبته • وعندما استقبله هتلر في برلين وسلمه عصا المارشالية بعث الى زوجته يقول :

( كنت افضل لو كان أعطاني فرقة اخرى بدلا من رتبة الفيلد مارشال هذه ) •

### المثل الأعلى

كان روميل يعتقد أن المثل هو خير معلم •

وكان يطلب من ضباطه أن يكونوا قدوة حسنة لجنودهم •

ومما يذكر له أنه كان لا يترك مناسبة الا ويناشد فيها الضباط أن يعتنوا بأنفسهم في الخاص والعام من الأمور •

ويتضح ذلك جليا من الخطاب الذي القاه - وهو قائد المدرسة الحربية - في الخريجين • وقد جاء فيه :

● كن نموذجا لرجالك ، في عملك ، وفي حياتك الخاصة •

● كن مرنا ورائقا ، وعلم معاونيك أن يكونوا كذلك •

● حاذر من النرق والحدة وانفلات الأعصاب وارتفاع الصوت •

كان شليفن يقول : « ان القائد العام هو عقل الجيش » اما روميل فيقول :

« ان الحرب الحديثة قد اتسع نطاقها ، وتعددت ميادين نشاطها وزادت الاختصاصات مما يقتضى أن يكون هناك كثرة من الضباط - وخاصة في مراكز الاركان حرب - لهم مثل صفات القائد العام

واحاطته وعزيمته - لكى تعمل جميع الأدوات بنجاح سواء فى ميدان التكتيك أو ساحات الامداد والتموين .

وروميل صاحب نظريات حربية صدرت عن عقل كبير وفكر مجرب ، فقد خرج من الحريين العالميتين بدروس هامة ، منها :

١ - أهمية تعاون الطائرات والقوات البرية، تعاوننا يجعلهما قوة واحدة .

٢ - أهمية هجوم القوات المدرعة بقوة متجمعة كبرى .

٣ - ضرورة التفكير السريع والانقضاض السريع .

٤ - وضع الخطط على اساس الواقعية لاتدخلها الأوهام .

٥ - ضرورة التدريب الجيد العملى الواقعى قبل المعركة .

٦ - أهمية الشدة والصبر والتفاؤل .

٧ - الجانب الذى يملك المدفع الاشد قوة يكون لديه السلاح الغالب .

٨ - عدم التقيد بالروتين أو أقوال وخطط الآخرين .

ويبلغ روميل غاية القول عندما يجرى قلمه بالسهل الممتنع ، فيروى الحقيقة الحربية التاريخية :

ان الجانب الأقوى هو الذى يحرز النصر .





دار التحرير للطباعة والنشر







# هذا الكتاب

لاستطيع أية جماعة من الناس أن تقوم بعمل  
مشترك - كالحرب - من غير قيادة تنظم شئونها وتعبئ  
قدراتها وتضع الأفكار والخطط التي تبلغ بها غاياتها ..  
وللقيادة الحربية أصول ومواصفات قديمة ، وقد  
نمت وتطورت وصارت في مقدمة عوامل النصر ..  
وكبار القادة الذين حركوا آلاف وملايين  
البشر في وادي الموت وقرروا مصائر أوطانهم في  
ساعات الخطر الداهم .. كانت لهم مزايا ومواهب  
متعددة ، وفي مقدمتها الشجاعة والكد وتقديس الشرف  
العسكري ومعرفة الشعور والعواطف التي تؤثر في الرجال ..

